العرب والصحراء

✶

أول ما تعارف العرب والتاريخ تعارفا على رمال الصحراء وقبل ذلك اللقاء الاول بمدة لا يعرف مداها احد حتى وقت قريب والعرب والصحراء مرتبطان معا ارتباطا وثيقا ، ارتباطا امتزجت فيـه شخصية كـل منهمـا في الآخر امتزاجا عظيما ، فاصبحا وكانهما شيء واحد لا يتجزأ ، فكان الصحراء ليست صحراء بدون العربي والعربي ليس عربيا بدون الصحراء .

ان هذا « القران » السعيد قد ترك آثارا باقية في دم العربي ، فالخلق العربي في ابهى مظاهره واقوى نبضاته هو وليد الصحراء العاقر وثمرة تربتها القاحلة . فالصحراء قاسية لا ترحم الضعيف لهذا تحتم على العربي لكي لا يموت ان يكون محاربا قويا صبورا ؛ والصحراء مقتـره شحيحة فكان رد العربي على ذلك ان قل تقديره لمتاع الحياة واصبح كريمـا يتفاخر بنسبـه وفروسيته اكثر مما يتفاخر بماله ووفرته .

قد يكون من السهل ان يكيف المرء نفسه تجاه تحد مفروض عليه فرضا ولا يستطيع له ردا ، واسهل من ذلك ان يكيف نفسه تجاه ظروف يكون فناؤه التام هو الاحتمال الوحيد الآخر في ذلك الموقف . وقد واجه العربي في الصحراء تحد كان الفرض والفناء ميزتيه البارزتين ، ولهذا كان لا بد له ان يكون ما كان ولولا ذلك لما كان العربي على الاطلاق .

اما العربي خارج الصحراء فيواجه موقفا جديدا كل الجدة ، موقفا ابتعد به عن تأثير تلك القوة الروحية العظيمة ، قوة الصحراء التي كانت تفرض عليه التقشف فرضا وتقسره على الاتجاه نحو القيم الروحية قسرا .

لهذا فان تلك الشخصية الجذابة التي كونتها الصحراء على مر الاف السنين ، شخصيـة العربي الاصيلة بملامحها الروحية البارزة وصفاتها القوية النقية الجميلة تواجه اليوم ازمة عسيرة وخطرا محدقا ساحقا ؛ وهذا الخطر هو نتيجة لانفعال العربي تجاه وضعه الجديد حيث الوفر الاقتصادي المضطرب . وانفعاله هنا يسلك نفس النهج الذي سلكه سابقا في الصحراء ، انما الفرق بينهما في النتائج فقط . فالانفعال السابق صالح محمود في آثاره والانفعال الجديد يجعل الانانية الفردية ، بمعناها الجشع ، محور العلاقات الاجتماعية على مستوى قومي عام ؛ وهذا اساس اضمحلال الشعوب ونقطة البداية لاندثار كيانها .

امامنا الآن سبيلان اولهما سبيل سهل وهو الانسياق مع التيار الجارف . فيتناقص تراث الصحراء من نفوسنا شيئا فشيئا الى ان يزول زوالا تاما . ومع الزمن تتشكل عندنا شخصية جديدة لا تمت للاولى بصلة . واما السبيل الآخر فيحتاج الى قدر كبير من التصميم والشجاعة وهو ان نمنع سيل « الترفه » من خنق ما لدينامن تراث وتحويل مجراه الى الاماكن المجدبة في حياتنا القومية فنضيف الى تراثنا الصحراوي تراثا جديدا « يانعا » كما فعل العرب الى حد ما في بلاد الاندلس اوائل دخولهم اياها .

ان التقشف سهل في الصحراء ، ولكنه صعب شديد الصعوبة وسط النعمـة والرخـاء والرفاهية . انما ممارس الفضيلة لا يعتبر « فاضلا » اذا كانت الفضيلة مفروضة عليه فرضا ، ولم يخترها بنفسه ولنفسها من امور كثـيرة مغرية ؛ وكلما زادت تلك الامور المغرية اغراء زاد التمسك بالفضيلة فضيلة وجلالا .

ان طريق الفضائل طريق وعر وباب الفضائل باب ضيق « وقليلون هم الذين يدخلونه » ، انما هم العقلاء ان كان هذا هو السبيل الوحيد للابقاء على شخصية امتنا . هذه الشخصية التي عرفها التاريخ ، منذ لقائه الاول لها ، من اقوى الشخصيات العالمية واكثرها نبلا وكرما واباء .

اسكتلندا ـ جامعة ادنبرة فؤاد حداد

البحر

✳

أمواجه الآمال تتسع تهوي على جشع وترتفع
وأخالها الشهوات عاصفة في الصدر حين يثيرها الطمع
تَزْوَرُّ من صلف بجانبها او تلتوي عجبا وتندفع
شالت فخلت غمامة خطرت وهوت فخلت الأرض تقتلع
والريح تخبط في مدارجه خبط الضرير يهزه الجزع
ضلت مدارجها وأجهدها درب كحلق الليث ممتنع
فتساقطت كالشلو حين هوى من حالق وتدحرجت تقع
والبحر يزخر في مساربه متوعدا والليل مكتنع

★★★

جارى العباب غمائما عرضت فاذا الغمائم خلفه تبع
البحر يعطي الدر سائله وتثيب يمناه وتبتدع
والسحب تخلف عن مواعدها وتضن من شح وتمتنع
كم عالم للبحر متسع تلقى به الاضداد تجتمع
اللؤلؤ اللماح مبتذل في قاعه وكأنه الودع
سكانه عجب وعالمه مستطرف واصوله بدع
صال القوي به وأمره سيف على الاعناق مرتفع
والحق لفظ ليس من أثر تلقى له أو فيه منتفع

★★★

في قاعه للهول معترك وبصدره للزعر مرتبع
وبكل ناحية مثار وغى حرب تشن وغارة تقع
جيش له من موجه لجب متأهب للزحف مجتمع
ويمده ثان ويرفده جيش من الانواء يندفع
جيش يحف الهول مركبه أنى مشى ويحوطه الفزع
أعلامه ما سار خافقة لا تنطوي ورماحه الهلع
هيهات يحجم عن مقارعة او ينثني ضجرا ويمتنع

★★★

تلقاه يطوي العمر مقتحما غمر الوغى عدوا ويصطرع
آفاقه الجوزاء مشرقة وحياضه الدنيا وما تسع
كم من يد للموج مصلتة فوق الرمال كأنها الشرع
تمحو وتكتب ما يساورها من هاجس في خاطر يقع
لا الموج يقصر عن معاتبة للصخر او تلقاه يرتدع
والصخر آذان مفتحة تصغي لشكواه وتستمع
دنياه ليس يشوبها دنس فكأنها بالطهر تلتفع
طهرت وتلقى المر خالطها ان الحقائق طعمها الوجع
والسم اكثر ما نصادفه في العذب والسلسال ينتجع

★★★

ما كنت الا البحر مشرعه من دونه الاهوال والفزع
تتوقد الشهوات عن قبس في عينك الوسنى وتلتمع
وأرى بجفنك للمنى صورا خلابة تسبي وتختدع
وبكل جارحة طلعت بها فجر وبستان ومرتبع
وأخال صدرك في نوازعه يما به الانواء تندفع
تتلاطم الشهوات عاصفة ويهب فيه الحرص والطمع
اهواؤه شتى ومن عجب يؤتى على خوف وينتجع
ما البحر ينقع غلة ولكم من غلة بسناك تنتقع

دمشق — عدنان مردم بك

قصــة

فتاة المرقص

بقلم شاكر خصباك

قــال فتحي : ساصحبك الى مرقص نتمرن فيه كما نحب يا علي .

ــ هيا بنا .

وانطلقنا معا . تركنا « الترام » في محطة « بـاب الحديد ، واخترقنا الميدان ، وانعطفنا في شارع جانبي ، ثم توقف فتحي امـام عمـارة قديمة . دلفنا الى مدخلهـا المعتم ، وارتقينا سلمـا قذرا اسلمنا الى ممر واسع فـي الدور الاول . وفي اقصى الممر لاح باب مفتوح على مصراعيه تنبعث منه انغام راقصة .

كـان المرقص حافلا بالرواد وسحب الدخان تتكاثف قرب السقف وحول المصابيح ، وضحكات النساء تشيع جوا خليعا ، وجلبة الحاضرين تملأ السمع . قـال فتحي ، ارنا همتك يا بطل . . .

واختفى مسرعا في زحمة الراقصين اتيذت موضعا منزويا ، ودارت عيناي متفحصة القاعة الفسيحة كان اثاث المكان يعلـن عن حقارته . المقاعد القديمة المصفوفة حول الجدران ، « البار » المتآكل المنتصب في صدر القاعة ، « الجرامفون » الهرم المتواري عن الانظار . فكرهتالمرقص. كرهت وجودي فيه . كان ثمة شيء قذر في هوائه المشبع بالدخان في فتياته المزوقات بتبذل ، في رقص زبائنه المجرد من الاحتشام .

انقطعت الموسيقى وتفرق الراقصون ، واقبل فتحي يشق طريقه نحوي . وبادرني متسائلا : كيف الحال ؟

ــ هذه دعابة سخيفة يا فتحي . انك اتلفت علي الامسية في هذا المرقص الحقير .

ــ لا ، لا . . لا تبالغ يا علي . صحيح انه ليس مـن المراقص الراقية لكنك تستطيع ان تتمرن فيه قدر ما تشاء هذا الى ان فيه بعض الوجوه الجميلة .

ــ واين الوجوه الجميلة ؟ انني اتحداك ان تدلنـي على وجه واحد فقط .

ــ واحد ؟ ما اسهل هذا تعال معي .

كانت الموسيقى قد صدحت من جديد . وكـان الراقصون يتخلعون في حركاتهم المبتذلة . اخترقنا حشدهم ووقفنا في موضع قرب الباب . وطافت عينا فتحي في حلبة الرقص ثم لكزني بكوعه وهو يشير بعينيه الى فتاة دنـت منا ، وتساءل : مـا رايك في هذه ؟

وابتعدت الفتاة عنا سريعا فلم المح فيها جمالا خاصا ، قلت في غير حماسة : لا باس بها .

فهتف باستنكار : لا باس بها يا اخي قل رائعة ، اتؤدي ثمنا للوصف ؟

ــ رائعة او غير رائعة ، انا خارج يا فتحي . لا اتحمل البقاء مدة اطول في هذا المكـان .

ــ صبرا . . صبرا يا علي خمس دقـائق فقط . رقصة اخرى معها ثم نخرج .

قال ذلك وعيناه ما تنفكان تلاحقان الفتاة . ثم التفت الي قائلا : اسمع يا علي . سلها الرقصة التالية وسادعوها انا بعدك ثم نخرج ما رايك ؟

ــ اوافق على أن تفي بعهـدك .

صمتت الموسيقى فحنت الفتاة راسهـا لرفيقهـا ، واتجهت الى مقعد منعزل وجلست في احتشام . ثـم عزفت اسطوانة جديدة فدعوتها الى الرقص . وما كـدت اتوسط الحلبة حتى عراني الارتباك وتخبطت قدماي ، وعجزت عن ضبطهمـا على وقع الموسيقى . وتوقعت ان تتركني رفيقتي بين لحظة واخرى وتعود الى مقعدهـــا غاضبة . لكنها جعلت تربت على ذراعي في كل خطوة لتعود قدمي على ضربات اللحـن . ولم البث حتى وجدتني ارقص بثقة واطمئنان . وزايلني الاحساس بالنفور والاشمئزاز وخلفه شعور بالغبطة والارتياح . واعترفت وانا استـرق النظرات الى وجهها ان فتحي محق في اعجابه . انها رائعة حقا . . . رائعة بعينيها الرماديتين الواسعتين ذات الاهداب الطويلة ، بوجهها البيضوي ذي البشرة الشمعية الصافية ، بشعرها الكستنائي الطويل المسترسل على كتفيها. والفيتني احاذر طيلة الوقت ان يمس صدري صدرها ، وان تضغط يدي على خصرها . كان ثمة شيء طاهر رقيق فيهـا ، يثير في القلب اعجابا خالصا. وشعرت باسف بالغ حينما سكتت الموسيقى وانتهت الرقصة . وعدت الى فتحي تتوزعني الغبطة والحسرة .

صدحت اسطوانة جديدة فهرع فتحي الى الفتـــاة قبل ان يسبقه شخص آخر ووقفت اراقبها من بعيـد ومشاعر النشوة ما تزال تفعم قلبي . وتمثلت لي فجاة نظراتها الفارغة وهي تراقصني ، وخيل الي انهـا تطوي تعاسة مرة وتلفت حوالي اتامل المرقص وزبائنه ، فعاودني

الشعور بالاشمئزاز والنفور وتملكني انقباض غريب، وتمنيت من اعماقي ان تنتهي الرقصة .

وتوقفت الموسيقى فاقبل علي فتحي عابس الوجه وغمغم : هيا نخرج واستقبلنا الهواء المنعش خارج البناية فتنفست الصعداء كأن عبئا ثقيلا رفع عن كاهلي . والتفت الي فتحي بعد صمت قصير وقال : انت محق يا علي .. هذا المرقص حقير جدا .

ـ وهل يحتاج هذا الى كلام ؟

فاضاف وكأن يحدث نفسه : وليس هناك امل في الظفر بها .. وخير لي ان اترك هذا المرقص السخيف .

ـ الظفر ـ بمن ؟

ـ بدرية التي رقصنا معها الان .. يظهر ان محاولاتي معها لن تثمر .

ـ لا ادري كيف تحتمل جو هذا المرقص ، من اجلها ام من اجل غيرها . اما انا فهذه هي المرة الاولى والاخيرة التي ادخلـه .

ولم اكن اشك ان قراري في مقاطعة ذلك المرقص كان حاسما وحينما سألني فتحي مرافقته الى مرقص آخر اعتذرت . ثم خرجت في الساعة الثامنة لتناول عشائي في احد المطاعم . ولست ادري كيف انساقت قدماي الى « باب الحديد » ووجدتني واقفا امام العمارة القديمـة والحيرة تعصف بي . ثم ارتقيت السلم القذر بتثاقل ومشاعر الحنق والغيظ تصطرع في صدري وتسمرت بجوار الباب خيل الي ان عيون الجميع اتجهت نحوي في تساؤل ساخر وتصبب العرق من جبيني والح على ذهني سؤال عنيد « كيف حدث هذا ؟ » لكن الموسيقى استمرت في انغامها الصاخبة ، وضحكات النساء الخليعة ظلت تتردد في القاعة ، والراقصون لم ينقطعوا عن رقصهم المبتذل . وعـاودني هدوئي شيئا فشيئا وتسللت بين جوانحي مشاعر الاستهانة وعدم المبالاة وبحثت عيناي عن درية حتى استقرتا عليهـا وهي منتبذة مجلسها المختار . فشققت طريقي بين الراقصين واخترت موضعا قريبا منها ، وخفقت في قلبي وانا اتأملها مشاعر رقيقة حنون كان ذلك التعبير الطاهر النقي يحيطها بجو فريد وبدا لي ان وجودها في مثل هذا المرقص امـر شاذ ، غريب ، كوجود مصل في حانة

تتابعت الانغام وظل الراقصون يتسابقون لدعوتها . كانت تلبي طلباتهم بهيئة آلية ، وتراقصهم كدمية متحركة ثم ترجع الى مقعدها بخطواتها الموزونة ومظهرها المحتشم . ولم تداخلني رغبة في مراقصتها كنت مغتبطا بمراقبتها من بعيد ، وان شابت غبطتي كآبة مبهمة .

اصبحت زبونا لمرقص «مولان روج » منذ تلك الليلة . كنت احرص على زيارته مرتين في الاسبوع على الاقل . وكـان برنامجي لا يتغير .. اختيار كرسي بقرب مجلس درية والانصراف الى تأملها ، واستيفاء الرقصات ، المخولة لي معها ، وكانت تتوزعني دائما غبطة عميقة وكآبة مبهمة وانا اراقصها . اما هي فكانت تراقصني كآلة متحركة وكان وجهها يبدو كئيبا على الدوام . والنظرات الحزينة لا تفارق عينيها . ولم اجسر يومـا على مخاطبتها . .

وذات امسية نظرت الي درية وقالت باقتضاب : انت اتقنت الرقص سريعا يا استاذ .

كانت لهجتها باردة لا تنبيء عن شيء ، لكنني رددت عليها بحماسة: يسرني ان تلاحظي ذلك .. والفضل يعـود اليك اولا وآخرا . فقالت بلطف : العفو يا استاذ .

ومرت الايام ، وبدأنا نتبادل التحيات المألوفة وعبارات مقتضبة عامة . وخيل الي ان موقفها مني يتغير يوما بعد يوم ، وان هيئتها الرسمية الصارمة تختفي اثناء مراقصتها لي . وكنت احسبني مبالغا في تخيلاتي ، لكن موقفها جعل ينجلي شيئا فشيئا مبددا شكوكي ، اخذت تستقبل دعوتي الى الرقص بابتسامة وتتقدم معي الى الحلبة برغبة واضحة وكانت اسارير وجهها تبدو منطلقة طيلة الوقت . ومع ان الحياة دبت في رقصها ، الا ان هيئتها المحتشمة لم تفارقها يوما . حتى رقصة (التانجو) لم تسلمها مرة الى ضغط صدرها على صدري او اسناد راسها الى كتفي ، كما تفعل الاخريـات .

وشجعني موقفها مني على التفكير بدعوتها الى شراب رغم انها تأبى قبول دعوة احد . كنت احسب انها ستولي دعوتي اعتبارا خاصا ، وكنت احب ان اعبر لها عن امتناني بطريقة مـا ونفضت عني التردد ذات مساء وقلت لهـا ، اتسمحين لي ان ادعوك بشراب يا مدموازيل درية ؟

فرفعت الي عينين حائرتين ، وقالت برقة : لا مؤاخذة يا استاذ علي انا لا اقبل دعوة من احد .

ـ ارجو المعذرة .

ومع انني قدرت موقفها حقيقة ، الا انني لم استطع ان اتخلص من شعور بالضيق والحرج طيلة بقية السهـرة .

والمت بي مشاغل صرفتني عن المرقص اياما عـديدة قاربت الاسبوعين ، وما كادت الفرصة تتاح لي ثانية حتى مضيت اليه بشوق واخذت طريقي المعتاد الى مجلس بالقرب من درية . وكانت تراقص شابا وكأنها دمية من عاج وما ان انتهت الرقصة حتى اسرعت الى مقعدها بخطواتها الموزونة ولاحت منها التفاتة الى جهتي فتلاقت عيوننا وخيل الي انها همت بالنهوض والاقبال علي . كان سرورها برؤيتي جليا زايلها الجمود وتألق وجهها وافترت شفتاها عن بسمـة عريضة . ولم تحول عينيها عن وجهي طيلة فترة الاستراحة

ارتفعت نغمات الموسيقى ثانية ، فاسرعت اليهـا ، وما ان خطونا في حلبة الرقص حتى تساءلت بلهجة مزيج من الغبطة والعتاب : لمـاذا لم تجيء كل هذه الايام يـا استاذ علي ؟

ـ شغلتني امور هامة يا مدموازال درية ، وهـــذه هي الليلة الاولى التي اتملص فيها من العمل .

والمرة الاولى منذ عرفت درية وجدتها مستسلمة

لعواطفها ، كان كل شيء فيها يعبر عن غبطة عميقة، نظراتها الحالمة وجهها الضاحك وقصها النابض بالروح ورات تميل على جسدي بين لحظة واخرى فيلتصق صدرها الناهد بصدري ويلامس شعرها الناعم خدي . وقالت لي في الرقصة الثانية بلهجة متعثرة : اذا كنت يا استاذ علي تحب ان تدعوني الى شراب فلا مانع عندي .

ـ صحيح ؟ يسرني ذلك كثيرا يا مدموازال درية .

فاضافت مترددة : ولكن ليس هنا .

ـ خارج المرقص ؟

فاومات بالايجاب وقد تورد وجهها .

بارحنا المرقص عقب الرقصة الثالثة ، اخترقنا الميدان وسلكنا شارع ابراهيم باشا ، وقر عزمي على اصطحابها الى مطعم فخم في شارع الالفي . وقطعنا معظم الطريق صامتين خلا عبارات معدودة فكانت درية تسير بجواري وهي خافضة النظر مضرجة الوجيتين وتوقفنا اخيرا امام مطعم انيق تشع الانوار من نوافذه وتنبعث من داخله موسيقى هادئة ، كانت موائده مزدحمة بالزبائن . وكان هواؤه المفعم بالعطر ، وبريق الحلي في انواره المتوهجة ، والوجوه الريانه الناعمة تسبغ عليه جوا ارستقراطيا رفيعا ووقفنا نفتش عن مائدة خالية ثم تقدمتني درية وهي تتعثر في خطواتها ، وما ان انحطت على المقعد حتى تمتمت بارتباك وهي تغتصب ابتسامة حائرة : انا خائفة يا استاذ علي .

ـ خائفة وممن ؟

ـ انا لم ادخل في حياتي مكانا غاليا كهذا وهؤلاء الناس الاغنياء ...

فقاطعتها : بماذا يفضل عليك هؤلاء الناس ؟ بمظاهر الابهة لا اكثر ، فتجمعت في مقعدها متصاغرة وجعلت تتفحص فستانها في قلق ممض وقلت محاولا صرفها عن خواطرها والان ماذا ستطلبين يا مدموازال درية ؟

فتناولت قائمة الطعام ، وحارت عيناها بين الاسماء المتزاحمة . وقالت اخيرا : رز وملوخية .

ـ هذا طلب غير موفق . اسمحي لي ان اطلب لك انا بنفسي .

وحضر النادل فقلت له هات فراخا محشوة مع الرز .

فتطلعت الي درية بدهشة ، وكادت صيحة اعتراض تفلت من بين شفتيها واسرعت تقول باحتجاج حالما مضى النادل ، لا لا يا استاذ علي .. هذا كثير كثير جدا .

ـ بالعكس يا مدموازال درية ، هذا اقل ما يمكن ان اقوم به نحوك .

ـ متشكرة جدا .

واحضر النادل الطعام وراحت تتناول لقيمات صغيرة في حذر وقلق . وكانت تحاول ان تتجنبني بنظراتها طيلة الوقت وقالت اخيرا بصوت متعثر وهي ترمي وجهي بنظرة سريعة قلقة لا مؤاخذة يا استاذ علي اذا كنت لا اتصرف كما يتصرف المدموزيلات انا لم اخرج مع أي واحد من قبل .

ـ انا اعلم ذلك فانت لا تقبلين دعوة احد من رواد المرقص على شراب ، فكيف تخرجين معهم ؟ وكم اثار عجبي امتناعك هذا في الوقت الذي يتهالك فيه زميلاتك للحصول على شراب بأي ثمن .

فسارعت تقول بحرارة : لا تلمهن يا استاذ علي انهن مضطرات والا طردن من المرقص .

ـ ولم لا تطردين انت اذن ؟

فقالت وهي تخفض نظرها ، اظن لانني اجمل الموجودات وترددت قليلا قبل ان القي عليها ذلك السؤال الذي امضني طويلا ، ثم قلت بلهجة حذرة : ولكن كيف ترتضين انت يا مدموازيل درية ، العمل في مثل هذا المحل ... الوضيع ؟

فشحب وجهها ثم احمر احمرارا شديدا ، وسمرت عيناها على الصحن وجعلت تتناول طعامها في حركة آلية وتلوكه بصعوبة وبطء وخيم علينا صمت ثقيل وظللت حائرا لا ادري كيف انقذ الموقف . ثم همست درية اخيرا دون ان ترفع نظرها عن المائدة ، وكيف يعيش اخوتي ؟

انا آسف يا مدموازيل درية ولست ادري كيف اعتذر عن هذا السؤال الفضولي . لكن وجودك في ذلك المرقص كان يبدو لي دائما امرا شاذا افلا ترين ان عملك في مثل ذلك المكان يعرض مستقبلك للخطر ؟

فلاحت في عينيها تلك النظرات الكئيبة وغمغمت ومن له حق الاعتراض على ارادة ربنا ؟

وسرعان ما اختفت النظرات الكئيبة من عينيها وانطلق وجهها وقالت بسعادة ولكن ربنا لم يحرمني من عطفه الى النهاية . اليس كذلك يا استاذ علي ؟

فاسرعت اقول مؤكدا : طبعا طبعا .

وعادت الى درية بهجتها واقبلت على طعامها في شهية وراحت تتحدث بانطلاق ، اتعرف يا علي انا لم اكن احب ان اراقصك في البداية ، كنت احسب انك مثل صديقك الذي جئت معه في المرة الاولى . ثم ظهر لي يوما بعد يوم انك تختلف عنه كل الاختلاف . مؤدب .. لطيف .. لا شبيه لك بين زبائن المرقص جميعا . وكنت الاحظك وانت تختار مجلس على مقربة مني دائما وتثبت عينيك على وجهي .. اصارحك يا علي ان نظراتك كانت تزعجني في البداية ثم بدات اشعر بسرور وارتياح لها ، وحينما دعوتني الى شراب في تلك الليلة كنت اود من كل قلبي ان اقبل دعوتك ولكنك تعرف ظروفي فلما انقطعت عن المجيء خشيت ان تكون زعلت مني ، ولن تاتي بعد ابدا وظللت الوم نفسي على رفضي دعوتك . وكم كان مجيئك هذه الليلة مفاجاة سارة لي يا علي . الحمد لله انك لست زعلان مني يجب ان تاتي لزيارتنا وتتعرف بامي ..

ـ البقية في الصفحة ٧٢ ـ

الطفل الخجول

بقلم الدكتور ابو مدين الشافعي
اخصائي نفساني

✳

يبدأ تكون طبع الطفل منذ السنة الاولى. وليس طبع الطفل وليد صدفة، ولكنه من صنع الام. فكل طفل قابل لاتباع الطريق لذي يرسم له في طفولته، فما علينا الا ان نتفطن لبعض الحقائق النفسية لكي نسعد طفلا ونزوده بطبع ينفعه طيلة حياته. فالطفل يكون عجينة لينة في أيدينا في السنتين الاولتين، ويتقرر مصيره في الحياة على اساس معاملتنا له. وهذه المعاملة تحتاج الى معرفة حقيقة هامة عن نفسية الطفل، وهذه الحقيقة تثبت ان كل طفل منذ آخر السنة الاولى يدخل طورا هاما في النمو النفسي ويمتاز هذا الطور من النمو - عند كل الاطفال - بالميل الى النفي والرفض. فيجيب بحركات النفي على أغلب الطلبات المقدمة له حتى لو كان يرغب في الشيء المفروض عليه، وبعدما كان يقبل على الاكل بشراهة وبطريقة مستمرة خاضعا للتوجيه المفروض عليه يبدأ يتغير في موقفه: فيقبل تارة ويرفض تارة اخرى، وتكون هذه اول علامة لبزوغ شخصية الطفل الصغيرة فيحاول برفضه اثبات ذات تريد ان تستقل. ونلاحظ ان هذه المرحلة من النمو النفسي توافق قدرة الطفل على المشي وتكون الرغبة في فرض الارادة مسايرة للاستقلال الجزئي عن الام بالمشي.

يجب ان نعرف ان الميل الى النفي والرفض سلوك مشترك بين كل الاطفال في سن معينة فيكون ذلك مبينا لنظام مفيد تتبعه الطبيعة لتكوين الطبع ولا يجوز لنا ان نقضي على هذا النظام فارضين ارادتنا بتدخل عنيف.

وفعلا فاننا لاحظنا ان الام التي لا تحترم ميول طفلها في سن النفي والرفض تخلق طفلا ضعيف الشخصية خجولا لا يعرف كيف يدبر اموره بنفسه. ولعل المرء يجد في هذه العلاقة بين اخطاء معاملة الطفل في السنتين الاولتين من عمره وبين تكوين طبعه مدى حياته نوعا من الغرابة.

والحقيقة ان دراسة مواقف الطفل الصغير وهو يقول: «لا» توضح لنا اشياء كثيرة هامة لها خطرها في تكوين الشخصية. اننا نشاهد الطفل يرفض اشياء كان يرغب في الحصول عليها بشدة ولا نفهم سبب رفضه. وكثيرا ما يتشبث بشيء ويعند في الخضوع عندما نحاول تخليصه من يده، ويمكننا ان نلجأ الى حيلة بسيطة مفيدة تساعدنا على احترام هذه الارادة الصغيرة التي تعبر عن نفسها بطريقتها الخاصة وهذه الحيلة تقضي ان نقدم للطفل اي شيء آخر لنشاهده يتخلى عن الشيء الاول ليتشبث بالثاني، ويهيأ له انه اختار هذه الحركة ويعطيه ذلك شعورا بحريته.

وبطريقة التشويق الى موضوع جديد نخرجه من التشبث بالموضوع القديم وفي هذه الحالة نكون قد استخدمنا ظاهرة نفسية وهي حب الاستطلاع لعدم تعريض ظاهرة حب الاستقلال الى التلاشي. وهذه الطريقة في تحويل الطفل عن موقف الى موقف من مواقفه تنمي دوجة الانتباه دون ان تضعف الارادة، بعكس طريقة العنف التي تدفعنا الى ان نقول للطفل: «لا» عندما يقول هو «نعم» ونقول له «نعم» عندما يقول هو «لا» فكثيرا ما نكسر نفسه باستعمالنا القوة، اذ يشعر انه مغلوب على أمره في كل محاولة من محاولات الاستقلال في حدود قدرته وهذه الطريقة البدائية التي تقوم على العنف تؤدي الى احد امرين: اما الخضوع المطلق، او الثورة والعناد. ويكون الخضوع مصحوبا بخجل، وهو عبارة عن خوف وهمي من الناس وعدم ثقة مطلقة بالنفس وتردد مستمر عند القيام بمشروعات جديدة. وفي أغلب الاحيان يكون الخجل سببا في فشل الشخص فشلا تاما في حياته كلها.

ونلاحظ على الاطفال الذين سيطرت عليهم الام سيطرة تامة في الطفولة ولم تترك لهم مجالا لابداء رغباتهم الخاصة انهم يكونون دائمي التعلق بالام ولا يستطيعون مفارقتها، كما انهم لا يعرفون كيف يكسبون اصدقاء يبادلونهم تجارب الحياة. ويؤدي ذلك الى توقف واضح في النمو النفسي، ويشعر الشخص بالتردد في افعاله لانه في كل حركة يحسب حساب امه ويهيأ له وجود شخص بجواره يراقبه ويصرخ في اذنه: «لا»، كما كانت امه تفعل وقت الطفولة. وكثير من الناس يتهاونون في هذا الميدان ويعتقدون ان علماء النفس يغالون في تحليلهم ويسرفون في تدخلهم، ولكن الواقع يثبت ان هناك ضحايا عديدين ضاعت حياتهم بسبب هذه الاخطاء.

ومما يدل على ان الخجل والتعلق بالام راجع الى سيطرة الارادة الخارجية التي تقتل ارادة الطفل هو ما نشاهده في حالة وجود اب ضعيف الشخصية وام مسيطرة ومستبدة برايها في المنزل. ففي مثل هذا الوضع النفسي للاسرة يظهر الاطفال كلهم ميالين الى الخجل، حتى لو لم ترتكب معهم الاخطاء المذكورة في سن الطفولة المبكرة، وذلك لانهم يخشرن الام خشية زائدة عن الحد لخضوع مثلهم الاعلى - وهو الاب - خضوعا واضحا لارادة الام.

يجب على كل شخص يريد ان ينجب اطفالا ان يتحرى في اختياره لزوجته. ويتزوج الكثير من الشبان وهم لا يفكرون الا في انفسهم وارضائها من حيث الجمال واللذة، ولكنهم لا يفكرون فيما سيحدث من بعد فيما يتعلق بمصير الاولاد. ويكاد يكون من الضروري ان يوجه كل زوج زوجته الى العناية بالمبادىء النفسية التي تضمن للطفل صحة تامة وطبعا سليما.

ويمكننا ان نجد عن طريق التحليل النفسي حقائق خطيرة توجهنا جميعا الى الموقف السليم نحو الطفل: نذكر

نحو تحديد اجتماعي لمفهوم الحضارة

بقلم الدكتور ماجد فخري

في تحديد مفهوم الحضارة Culture يمكننا اعتماد احد اسلوبين ، فاما ان نحاول تعيين الخصائص التي تميز الانسان المتحضر عن غير المتحضر ، واما ان نبحث عن الشروط اللازمة لقيام الانسان المتحضر في مجتمع ما . وواضح ان الاسلوب الاخير مرتبط بنظرة اجتماعية الى الفرد ـ اي الى الفرد من حيث انتماؤه الى مجتمع بشري منظم . ومع ان هذين الاسلوبين متميزان بعض التمييز ، الا ان البحث في مفهوم الحضارة من جهة ما ـ ومفهوم الثقافة الذي يتصل به من جهة اخرى ـ كما نجد من مدلول هذه اللفظة اللغات الاوروبية ـ يقتضي ضرورة النظر الى صفتي المرء الاجتماعية والفردية ، بحيث يكون التمييز بين هذين الاسلوبين ضربا من التجريد وحسب . الا انه تجريد قد يجدي في توضيح بعض القضايا المتعلقة بمشكلة الحضارة في شطريها الفردي والاجتماعي .

وهكذا فقد لا يكون في القول بقدرتنا على تعيين الخصائص التي تميز الانسان المتحضر عن غير المتحضر ـ مثلا : مدعاة للجدال متى افترضنا وجود انسان من هذا النوع ينتمي الى مجتمع متحضر . ولكن هذا الافتراض نفسه موضوع نظر . لذلك يصح لنا ان نتساءل : هل يمكن تصور هذا النمط من الانسان المتحضر خارج المجتمع ؟ وهل يتسنى لمثل هذا الكائن الوهمي (كما تسنى لحي بن يقظان ولروبنسون كروزو) ان يرقى الى اسمى درجات المعرفة والفضيلة في عزلة تامة عن المجتمع الانساني ؟

سوف ارجيء الاجابة عن هذا السؤال واكتفي بالاشارة الا ان عددا من الكتاب المحدثين الذين عرضوا للبحث عن مفهوم الحضارة وطبيعتها يميلون الى الاقتصار على الاسلوب الاجتماعي التاريخي ، وكانهم يضمرون ان هذه المشكلة التي اثرناها اعلاه هي مشكلة نظرية تهم الفيلسوف الاخلاقي من جهة ، ويصعب البت فيها بتا قاطعا من جهة اخرى ـ بينا الاسلوب التاريخي الاجتماعي القائم على الاستقراء والملاحظة كفيل بايضاح بعض الخواص العامة للحياة المتحضرة ، في زعمهم . وهكذا نرى فئة من هؤلاء الكتاب كاليوت T. S. Eliot الشاعر الانكليزي المشهور في كتابه «نحو تحديد الحضارة» وكارل مانهايم K. Mannhein لا سيما في كتابه الموسوم « الانسان والمجتمع في عصر التنظيم » ودوسون .C. Dawson في عدد من كتبه يؤكدون على الصفة الاجتماعية للحضارة وعلى كون ثقافة الفرد مظهرا لثقافة المجتمع او جزءا من اجزائها .

عندما نتحدث عن المجتمع فانما نتحدث عن جماعة بشرية تنقسم الى طبقات فعلية . ونعني بالطبقات الفعلية الفئات المختلفة التي تساهم في بناء الجهاز الاجتماعي

حالة شاب فرضت عليه الام سيطرتها منذ السنة الاولى ولم تمكنه من الفرصة التي يعبر بها عن شخصيته ، وكانت المراقبة تحيط به في كل افعاله وتصرفاته الى ان وصل به الامر الى الشعور بالخوف المستمر من كل شيء ، ولم يكن فشله في المدرسة الا مقدمة لفشله في الحياة ، وكانت مخالطته لفتاة تعتبر في نظره حادثا خطيرا يجب الاستعداد له بكل الوسائل التي يمكنها ان تخفي عجزه وبعد تردد طويل يتخلى عن موقفه والا شعر برعشة عامة في جسمه وحمرة ظاهرة في وجهه . كما انه في حياته العملية كان دائم الاتصال بالاخرين ليسألهم رأيهم في مشروعاته ، وكان يعجز عن تنفيذ اي قرار يتخذه . وعندما حلل نفسيا عبر عن كره خفي نحو والدته ، وذلك لانه فهم انها كانت السبب في قيوده النفسية التي تقيده في كل خطوة من خطوات حياته . ومن اخطر ما يصادف مثل هؤلاء المقيدين هو تلك الرعشة الداخلية التي قد توحي بخوف دون اي سبب ، وتحدث الاحلام المزعجة التي تصور للشخص صراعا مستمرا ويصحو شاعرا بالتعب والانهاك .

ويمكننا ان نتفادى كل هذه الاضطرابات ونتيح للطفل نموا طبيعيا اذا عرفنا كيف نحترم حريته في الحدود المعقولة . ولا بد من ان نستعمل الحكمة والحيلة قبل التهور والاندفاع في استعمال القوة والعنف .

والخلاصة ان الطفل في اواخر السنة الاولى يبدأ يفرض ارادته بالنفي والرفض والتشبث فيجب تقدير ذلك واعتباره خاضعا لقانون النمو النفسي ، فلا يجوز فرض ارادتنا على الطفل بطريقة خشنة بل يمكننا ان نوجهه لرغبتنا بالحيلة واستعمال اللين وبذلك نمكن الطفل من سيره الطبيعي في مراحل النمو النفسي . ولا يجوز للامهات اهمال المعلومات النفسية التي توضح الحقائق العامة التي يتعرض لها كل طفل في تكونه . وبذلك نوفر على الشخص متاعب ترجع لظاهرة الخجل والخوف والضعف واستمرار التعويل والتعلق بالام وعدم التمتع بالاستقلال في التفكير .

القاهرة **ابو مدين الشافعي**

مساهمة معينة ، بحكم وضعها الاقتصادي والاجتماعي ، والنشاط الذي تقوم به داخل المجتمع — ان في حقل الصناعة او الزراعة او الانتاج الادبي او الفكري وغير ذلك .
ومن الواجب ان نلاحظ هنا ان القول بوجود مثل هذه الطبقات لا يتعارض مع مفهوم العدالة الاجتماعية او النظرة الديموقراطية للحياة ، كما يتوهم بعضهم . لانه يمكننا تصور مجتمع يقر مبدا المساواة بين الطبقات ، دون ان يمت الى الحياة الديموقراطية الاصيلة بصلة . يضاف الى ذلك ان حاجة المجتمع البشري الى ضرب من التخصص في تحصيل اسباب المعاش يقتضي ضرورة قيام طبقات اجتماعية مختلفة يساهم كل منها بحسب طوقه ووضعه في بناء الجهاز الاجتماعي — كما يضع افلاطون في « جمهوريته » وابن خلدون في « مقدمته » . فالمجتمع يحتاج الى طبقات مختلفة تقوم بوظائف مختلفة ، كما يحتاج الجسم الى اعضاء واجهزة وغدد مختلفة تعمل جميعها باتساق على سلامة الجسد وصحته .

مثل هذين التخصص والتنوع في نشاط المجتمع هو شرط من شروط سلامة الجهاز الاجتماعي الاساسية . ويستحيل تصور جماعة بشرية لم يتوفر فيها هذا الشرط . فالقبيلة التي تمثل طورا من اطوار الحياة البدائية ، مثلا ، تنقسم الى الرؤساء والفرسان والكهنة يقوم كل منهم بمهمته الخاصة ويساهم في صيانة الكيان القبلي وسلامته . في هذا الطور البدائي من الحياة تتجه همة المجتمع البشري بادىء الامر الى تحصيل اسباب المعاش المباشرة والذود عن كيان الجماعة العام . ولكن وجود الكهنة حتى في اعرق المجتمعات البشرية في القدم ، يدل على ضرب متميز من التخصص رافق ظهوره في الغالب ظهور الغرض الاول للتكتل البشري : اعني توفير اسباب المعاش . فالكهنة الذين لا يتميزون في بعض الاحيان عن الرؤساء او القادة (١) انما يقومون بمهمة خاصة تختلف نوعا ما في جوهرها عن غرض القبيلة الاول المشار اليه . فهم يسعون لكسب رضى الآلهة ومؤازرتهم في الشدائد والحروب . من ذلك ما يرويه ابن الكلبي صاحب « كتاب الاصنام » عن عرب الجاهلية انهم كانوا يحتملون آلهتم كلما خرجوا في غزوة او قتال . ويدل ذلك على الاتصال الوثيق بين الدور الذي كانت تلعبه طبقة الكهنوت في هذه المرحلة البدائية من حياة المجتمع والدور الذي كانت تلعبه الطبقات الاخرى . اذ يتخصص كلاهما في العمل على صيانة كيان المجتمع والذود عنه .

اما في الاطوار اللاحقة فان التخصص في حياة المجتمع ياخذ في النمو شيئا فشيئا ، بحيث لا يقتصر التعاون بين افراد الجماعة عندها على توفير اسباب الرفاهية والمتعة . وهنا تبدا المدنية بمعناها الاصيل ومعها تاريخ الجماعة الحضاري الفعلي . اما دور الكهنة في هذا الطور فياخذ في التجرد شيئا فشيئا وبذلك يصبحون طبقة متميزة كل التميز مهمتها الاولى كشف القناع عن ارادة الآلهة الخفية من جهة ، والتعبير عن هذه الارادة من جهة اخرى . ومن اغرب مظاهر تاريخ الشعوب الاولى ان حضارتها — كما تتجلى في ادبها وشعرها وفنونها وشعائرها — مرتبطة ارتباطا وثيقا بنشاط الكهنة بينها . فالشعر عند القبائل الاغريقية القديمة والرقص والموسيقى عند الزنوج والنزر اليسير مما وصلنا من النثر الجاهلي انما هي من نتاج الحياة الدينية (او الكهنوتية) لهذه الشعوب .

وهكذا فنشوء الحضارة عند عامة الشعوب منوط في الغالب بنشاط طبقة الكهنوت التي كانت تقوم في العصور الاولى من تاريخ البشرية بمهمة الاشراف على حضارة المجتمع ورعايتها . واستمر الامر كذلك حتى العصور الحديثة حين اخذت الحضارة تنفصل عن الدين شيئا فشيئا واخذت الحياة ترتدي طابعا مدنيا صرفا : وكان من نتائج هذا الانقلاب ظهور طبقة جديدة آخذت تحتل المركز الذي كانت تشغله طبقة الكهنوت منذ اقدم العصور . ورغم ثورة هذه الطبقة الجديدة على التراث الفكري والروحي الذي ورثته عن تلك الطبقة فانها احتفظت بكثير من الخصائص التي كانت تتصف بها الطبقة الاولى وباتت تلعب في حياة المجتمع الدور الذي كانت تلعبه .

وقد استمر هذا الوضع الذي يبتدىء في اوائل القرن السادس عشر (اي القرن الذي ظهرت فيه الحركة الاصلاحية) حتى اواسط القرن الماضي الذي تميز بظهور الحركات الاشتراكية : ليس في الميدان الاقتصادي وحسب، بل في جميع ميادين الحياة — الادارية والاجتماعية والفكرية ايضا . ومن خصائص الاشتراكية ، كفلسفة عامة للحياة ، انها لا تقر باصالة التميز الطبقي في جميع هذه الميادين . وهي تناقض لذلك المبدأ الحضاري العام : اعني ان نشوء الحضارة واستمرارها يقتضي ضرورة قيام فئة قليلة تتمتع بشيء من الفراغ للاكباب على هذه المهمة الخطيرة : خلق الحضارة وتنميتها والمحافظة عليها .

وقد ساعد التقدم الميكانيكي والصناعي في المائة سنة الاخيرة على قيام هذا الوضع الخاص الذي انهارت معه الفروق الاساسية بين الطبقات الاجتماعية — ليس كفئات متميزة بحكم وظيفتها الاقتصادية في المجتمع وحسب بل كفئات تختلف في اساغتها لمعطيات الحضارة وقدرتها على التنعم بها . وهكذا لم تعد عملية ابداع الحضارة واستساغتها موقوفة على فئة قليلة محتكرة لوسائل هذا الابداع وهذه الاستساغة بل اصبحت عملية شعبية شاملة ، يساهم فيها ابناء المجتمع عامة .

الا ان ثمت قانونا حضاريا هاما : هو ان جودة المنتوجات الحضارية — ان في الموسيقى او الشعر او

(١) كما نجد عند عرب الجنوب القدماء وحكامهم الذين كانوا يعرفون « بمكربي سبأ » مثلا وملوك العبرانيين كشاوول وسليمان وداود الخ ..

الفلسفة تنحط بمقدار ما تتسع دائرة مستهلكيها ، لما تتطلبه عملية تذوق هذه المنتوجات من ثقافة في الذوق وخبرة في النقد والتقدير . ونحن لو دققنا النظر في مفهوم الحضارة لوجدنا انه يستحيل قيام حضارة اصيلة الا على الوجه الآنف الذكر : اي على يد فئة قليلة من ابناء المجتمع منصرفة بكليتها الى التعبير عن اسمى الرؤى الروحية والفكرية والفنية . اذ ان التسامي الحضاري (كما يقول كارل مانهايم في كتاب المذكور ص ٨٤) — في مضمار الفن والازياء مثلا ، يفترض ضرورة وجود فئات قليلة من الجهابذة الذين يخلقون الذوق العام ويصيغونه ، وبذلك يبثون في ارجاء المجتمع مضمون هذا التسامي واسلوبه . اما اذا تلاشت هذه الفئات او قيدت حريتها في الاختيار ، فان شروط نشأة الحضارة واستمرارها تتلاشى ايضا .» والازمة الحادة التي يواجهها عالمنا الديموقراطي اليوم هي طغيان الجماعة — بحكم كثرتها العددية — على هذه الفئات واكراهها على الانصياع لمعيار الذوق الشعبي العام انصياعا يعني آخر الامر تخلي هذه الفئات عن حقها المطلق في تكييف ذوق الجماعة وتثقيفه تثقيفا صحيحا .

ان اهمية الدور الذي يجب ان تلعبه هذه الفئات من الجهابذة ناجمة عن حاجة المجتمع الى مرشد في ميادين الفكر والروح والا لسيطرت الفوضى على عقول الناس وقلوبهم . ونحن لو سلمنا بحق الجماعة مثلا في تقرير مصيرها السياسي على اساس مبدأ الاقتراع العام ، لكون الحلول والقرارات السياسية مما يهم كل فرد من افراد المجتمع ، فلا شك ان اللجوء الى الاقتراع في تقرير ما يجب ان يستسيغه ابناء المجتمع في الموسيقى والشعر والتصوير مثلا يؤدي حتما الى انحطاط عام في الذوق الفني . ثم انه ليس من الواضح ان جميع ابناء المجتمع ممن يقدر الشؤون الفنية او يعبأ بها ، كما هي الحال في حقل الشؤون السياسية . فكان ضروريا ان يعهد بمثل هذه الشؤون الى اصحابها من ذوي الاختصاص والخبرة . والمشاهدة نفسها تدل على ان تفشي زي من الازياء او شيوع طراز فني خاص في عامة الحقول الفنية التي اشرنا اليها هما ابعد ما يكون عن اساليب الاقتراع : بل هما نتيجة لعملية معقدة يمكننا التعبير عنها بالانحدار من اعلى الى اسفل وليس العكس . يقوم فيها افراد او فئات قليلة — بدور الابداع او الخلق والجمهور الغالب بدور التقليد او المحاكاة . وكلما اتيح للفئة الخلاقة التفرغ لعملية الابداع تلك والاستغراق في التخصص والتعمق كلما كان الانتاج الفني والثقافي اسمى واروع . وبذلك يفيد المجتمع من هذه الفئات وهؤلاء الافراد فائدة عظمى ويصبح بوسعه ان يتمتع باروع آيات الفكر والروح .

قد يشك القارىء في جدوى هذه المتعة وقيمتها لا سيما لمجتمع فقير كادح كمجتمعنا الشرقي . وقد لا يجد مبررا لقيام هذه الفئات العاطلة بين ظهرانينا لانه من البديهي ان مشكلة الحضارة لا يصح ان تتقدم على مشكلة الخبز كما قد يقول كثير من كتاب الاقتصاد والاجتماع المحدثين . وقد يكون بالفعل بين هذين المطلبين من مطالب الحياة نزاع حاد عبر عنه دوستويفسكي تعبيرا رائعا في احدى الآيات الادبية من كتابه « الاخوان كرامازوف » عنوانها « المفتش الاعظم » لا يمكننا تفاديه . ولكن تاريخ المجتمعات البدائية نفسها كما قدمنا يدل على ان مشكلة الحضارة لم تتاخر زمنيا في ظهورها عن مشكلة الخبز ، بل هما يكادان ينشآن معا . زد على ذلك انه يستحيل على المرء ان يحيا من اجل الخبز وحسب : فلولا حلم من احلام السعادة والكفاف والرغد يراوده لما كان له قبل بالكدح والسعي طيلة ايام العمر .

الا ان اهم حجة يمكننا ان نحتج بها على ضرورة تحضير المجتمع — مهما بلغ من حاجته الى الخبز — هي ان المشكلة المادية — اي مشكلة الخبز — هي مشكلة غير مادية ، متى اعتبرت في شكلها الاجتماعي — لانها في الواقع مشكلة اقرار العدالة الاجتماعية ومبدأ التآخي البشري وحق الضعيف على القوي والفقير على الغني من ابناء المجتمع المتمدن . ولعل اهم ميزة للمجتمع المتحضر ان هذا الاقرار قد بلغ عند ابنائه حدا اصبحت هذه المبادىء الكبرى حقائق فعلية معمولا بها عنده ، لا ضربا من التسليم النظري بمبادىء مجردة عامة . ولكي نحقق مثل هذا النمط الراقي من الحياة المتحضرة يجب ان نبدا حيث ينبغي : اي بمعالجة المشكلة الاخلاقية الاجتماعية قبل معالجة المشكلة المادية . وعندها فقط يمكننا ان نجد لتلك المشكلة حلا معقولا .

وما دامت المشكلة الاخلاقية فرعا للمشكلة الفكرية الروحية — اي مشكلة الحضارة — فمن الضروري ان نهتم بها اولا ، ومن الضروري تثقيف اذواق ناشئتنا ومشاعرهم وتدريبهم على اساغة روائع الآيات الفنية والفكرية التي تشترك جميع شعوب الارض المتمدنة باستساغتها والتمتع بها . اذ هذا هو المحك الاخير للانسان المتمدن : قدرته على الاشتراك في تذوق مآتي الحضارة الانسانية الواحدة والمساهمة في تنميتها والتعبير عنها بلغته الخاصة وحسب مفاهيم قومه ومجتمعه الخاصة . بهذا يثبت الفرد حقيقة انتمائه الى مجتمع انساني ما ، من جهة ، والى الاسرة البشرية ، من جهة اخرى . اما اذا كتب له ان يعيش في جزيرة مقفرة كحي بن يقظان ، وروبنسون كروزو ، فقد يستطيع التغلب على بعض صعاب الحياة المباشرة بشق النفس ، ولكنه لن يستطيع ابدا ان يصيب من نتاج الحضارة المتراكم خلال الاجيال مثل ما يصيبه ابن المجتمع الوارث لهذه الحضارة والمنغمس في لجها : اي انه يبقى خارجا عن تيار الحضارة تلك محروما بركاته ونعمه .

ماجد فخري
الجامعة الامريكية ببيروت

الهوى التائه

*

لست أنسى فجرك الضاحك يا نور صباحي
يا ضياء زرع الاحلام في أفق مراحي
وسقى روحي وروى بالاغاريد جراحي
ذوب الفرحة في كأسي وغنى بصداحي

يا جنانا رفرف الحب على خضر رباها
ضوأ الفجر على اغصانها ثم احتواها
وتراءى في حواشيها غيوما ، ومياها
وربيعا مشرق الوجنة من خمر رؤاها

كيف ينسى الجدول الظامىء أنداء الغمام
وهي في شطيه أحلام .. وأطياف ابتسام
وزهور رف فيها العطر مشبوب الضرام
وهي طير في جفون الدوح مشدوه النغام

كيف أنسى سحر عينيك وأشواق دموعك
ومساء خافقا يسبح في ضوء شموعك
وحنانا هائما يشرب من صمت ضلوعك
وهوى يسقي أزاهيري بأحلام ربيعك

كنت لي وحيا وأنغاما وحبا وحنانا
روضة نضرها الله فغنت بهوانا
ورؤى نسقها الحب مروجا وجنانا
عانقت عمري وغنت بأغاريدي زمانا

يا رؤى فجري الذي نور آفاق غمامي
كيف ينسى العاشق اللهفان أشواق الغرام
وهي في جنبيه صبح شارد الاضواء دام
وهي في عينيه حلم جائع الافراح ظام

جنت أغفت على دربي بأمواج شذاها
وأغاريد سكارى ذاب في جنبي لظاها
اظمأت قلبي الى الحب فردته شفاها
وأذاقته هواها فتغنى بهواها

لست أنسى لهب الاشواق في قلبي الذبيح
وحريق الحب ينهار على نار جروحي
فأغني والهوى التائه يجتاح سفوحي
يا صباحا فر من دنياي في غربة روحي

لست أنسى عطرك الهائم في صبح شذاها
يا ربيعا فر والروضية في عرس صباها
فأنا منها نشيد رنحته شفتاها
وأنا قلب نبي عرف الحب فتاها

أيها الفجر الذي أشرق في وهمي وحيا
جف كوبي وهو روح ضارع في شفتيا
لم يعد غير بقايا ذكريات في يديا
آه يا عمري مضى عهد الهوى من ناظريا

بالذي أحرق قلبينا بأشواق الليالي
بالذي أسكر روحينا بأسرار الجمال
أيها الفجر الذي مات على أفق خيالي
أنا أدعوك فهل تسمع بالليل ابتهالي

القاهرة

محمد فوزي العنتيل
من رابطة النهر الخالد

فاجنر والاوبرا الالمانية

بقلم ادوارد ج. دنت

ترجمة غائب طعمة فرمان

اذا كان « فيبر » احد الشخصيات الانسانية الساحرة في تاريخ الموسيقى فان ريشارد فاجنر (١٨١٣ — ١٨٨٣) الذي ابتدات موسيقاه بعدوفاة « فيبر » كان احد الشخصيات الكدرة بقدر ما كانت حياته الخاصة مضطربة . لقد كان فاجنر قميئا ذا رأس ضخم وانف وذقن بارزين ، وشعور عظيم باهميته ، وقابليته على الحديث لا تنفد . وكان انانيا بصورة قاسية يتصور الناس جاؤوا لخدمة مآربه . ولكن فاجنر استطاع نتيجة لصلابته المدهشة لا ان يكون نجما آخاذا في تاريخ الاوبرا فحسب بل احد القوى الفعالة في الحياة الثقافية في عصره كذلك .

ومنذ الطفولة كان المسرح يسحره فكتب له مسرحيات قبل ان تكون له اية فكرة للاتجاه الى الموسيقى . وفاجنر اول مؤلف موسيقى يكتب كلمات اوبراته . واول محاولاته في تاريخ الاوبرا فحسب بل احد القوى الفعالة في الحياة « جوزي » فقد الفها عام ١٨٣٣ ولكنها لم تمثل على المسرح الا بعد وفاته . ثم اعقبتها اوبرا « البان يقع في الحب » التي مثلت في « ماكدبرج » عام ١٨٣٦ وهي اوبرا فكاهية . وقد اشتهرت اذ ذاك بانها اوبرا ماجنة وان كان الجمهور الحديث لا يرى ذلك وغرضها الاساسي السخرية من السلطات المتعجرفة .

ثم تلتها اوبرا « رنزي » وهي محاكاة لميربير احد الموسيقيين الالمان المعاصرين له . وبدأ بعد ذلك اسلوب فاجنر الاول يظهر في اوبرا « الهولندي الطائر » حيث رجع ثانية الى طريقة « فيبر » مع مزيج عجيب لعدة اساليب . وليس هذا ما يثير دهشتنا حين نتذكر بان فاجنر كان مديرا مسرحيا لعدة سنوات وكان صديقا حميما لعدد من الوكلاء المسرحيين اذ ذاك . والتأثير الفرنسي ما زال ظاهرا في « الهولندي الطائر » .

وفي عام ١٨٤٩ التجأ فاجنر الى سويسرا واذ مثلت اوبرا « لوهنكرين » عام ١٨٥٠ في « ويمار » اضطر « ليست » ان يقودها لغياب فاجنر . كان فاجنر اذ ذاك في ثورة . واصبحت « الهولندي الطائر » و « لوهنكرين » معروفتين لدى الجمهور ولقد اكتشف فاجنر حقله الخاص وهو الاساطير الالمانية القديمة . واعتاد ان يكتب كلمات اوبراه بنفسه دون ان يقبل كلمات غيره . ان الاوبرا عمل جار له مستلزماته المالوفة المنظمة كالاغاني والاناشيد التي ينشدها فريقان متناظران واناشيد الجوقات والاغاني الاجماعية وما الى ذلك . والموسيقي المحترف اذ ذاك لا يطمح الى انجاز شكل جديد للتمثيليات ولكنه يطمح بالنجاح وهذا يعني ان يعمل ما كان السابقون يعملونه . والمشكلة التي تجابه كتاب الاوبرا هو ايجاد قصة ترضي جميع الاذواق .

وفاجنر في محاولاته الاولى اتبع الطرق الاعتيادية المطروقة ولكنه راى ان كتاب الاوبرا كانوا دائما يعرقلون اعمال مؤلفي الموسيقى فحاول ان يجتاز هذه العقبة بالكتابة لنفسه وساعدته في ذلك مقدرة ادبية تميزه عن غيره من الموسيقيين الالمان . ولكي نعرف قيمة هذه المقدرة يجب ان نشير الى ان في المانيا اذ ذاك ادباء عباقرة . لقد كان هناك جيته وشيلر وقد اختارا المسرح لان يكون محورا لنشاطهما ، وهما بمعاونة كتاب آخرين استطاعوا ان يجعلوا المسرح الالماني معبدا مكرسا للمثل العليا للامة الالمانية وليس مجالا من مجالي التسلية وقد أثرت هذه العبادة الدينية للمسرح بصورة طبيعية في الاوبرا الالمانية وعلى الاخص ان الرومانتيكيين الالمان كانت تربطهم بالموسيقى رابطة لا انفصام لها ، وليس هناك ادب يوازي الادب الالماني قربا من الموسيقى اذ ذاك ، كما لم يحدث ان اقتربت الموسيقى من الادب مثل قربها من الادب الالماني . واذ كانت فرنسا قد اظهرت بعض الموسيقيين الكتاب فان اي موسيقى الماني اذ ذاك كان في الغالب من المعروفين بتشوفهم الادبي نذكر منهم فوبر ، سيور ، شومان ، هوفمان ، ثم جاء كورنليوس وليست الذي كان يفضل الكتابة باللغة الفرنسية ، ثم مندلسرن . كما ان اغلب الشعراء الالمان كانوا يلمون بشيء من المعرفة الموسيقية . وشيء طبيعي بعد هذا كله ان يكون العصر الرومانتيكي في ذلك الوقت عصرا زاهرا للشعر الالماني الغنائي وللغناء الالماني ايضا . وكان الالمان يفخرون في ذلك الوقت بان بلادهم كانت تدعي بلاد الشعراء والمفكرين وفاجنر يحق ان ينتسب للاثنين . فقد ظهرت الروح الجديدة بصورة محسوسة في اوبرا « لوهنكرين » فهي ثمرة من ثمرات التأمل والخلوة خلافا لاوبراته السابقة حيث كتبها وهو في صخب الحياة الجارية .

واوبرا « لوهنكرين » هذه متصلة باوبرا اخرى لفاجنر جاءت بعدها هي « بارسيفال » فالاثنتان تهتمان بقصة الكاس المقدسة . ولوهنكرين في آخر الاوبرا تخبرنا بان بارسيفال ابوها .

لقد اجرى موسيقيو الثورة الفرنسيون محاولات

صادقة لكتابة استهلالات تصاحبها موسيقى تمثيلية لاوبراتهم بدلا من المقدمات الموسيقية التقليدية . ولكن فاجنر في الحقيقة استطاع في مستهل لوهنكرين ان يرينا نوعا جديدا من الخيال المسرحي في اول الفواصل الموسيقية لهذا المستهل . ومهما قيل عن ذلك فانها في الحقيقة من احسن القطع الموسيقية عامة . انها تعبر عن ذلك الشعور « بالحنين » الذي تعتبر خاصية من خصائص حياة القرن التاسع عشر وافكاره .

ومن ذلك الوقت كرس فاجنر حياته كلها لانجاز مثل أعلى للعمل الفني المستقبلي يضم جميع الفنون التي تخدم التمثيل الموسيقي . واعد كل شيء لذلك . وفي اوبراته الجديدة كثيرمن الاشياء المخالفة للتقاليد الموسيقية بصورة لا مثيل لها .

وفي اوبراته الاخيرة سار في سبيله الخاص ، وتعود ان يكتب كلمات اوبراته بنفسه قبل ان يشرع بتاليف موسيقاها . وكثيرمن الافكار الموسيقية كانت تتولد في فكره حين يبدأ بصياغة الكلمات لهذا فيمكننا ان نعد اوبراته وهدة مستوعبة للشعر والموسيقى . وكان دائم الاتصال بالموسيقيين خلافا للموسيقيين الايطاليين في ذلك العهد حيث يبدون وكأنهم لم يسمعوا في حياتهم اي نوع من الموسيقى . ويصعب على الانسان ان يتصور بان « بليني » و « دونزيتي » لم يسمعا في جياتهم بالسمفونية الكلاسيكية . وبالاضافة الى هذا فقد كان يلذ لفاجنر ان يقود الفرق الموسيقية . وقد تطور هذا الشغف بقيادة الاوركسترا الى العبادة التي يكنها الجمهور اليوم لقواد الفرق الموسيقية .

لقد كان فاجنر ينغمس بلهفة واستمتاع بتنظيم المسرح ، وقد علمته تجاربه على الاوبرات تقديم الشخصيات المسرحية ، وخلق المؤثرات المسرحية القوية كما تعلم من بتهوفن ما يسميه الناس بالتأمل في حوادث الرواية . فقد كان بتهوفن مثلا في اوبرا « فيدليو » يبدو وكأنه نسي خصائص المسرح الواقعية وانغمر في التأمل بالافكار الاخلاقية . وعمل فاجنر بنفس الاتجاه ولكن بانتباه اكثر مستعينا باسلوبه الخاص الذي قام على انجازات بتهوفن في تطوير الاغاني والسمفونيات ، واستطاع فاجنر بعد ذلك ان ينبذ الطراز القديم للاغاني المنفردة ، ويخلق طرازا موسيقيا مطردا لا يقاطع من قبل الجمهور بالتصفيق والهتاف ، واصر على تهيئة حالة جديدة للاوبرا تلزم الجمهور على السكوت والتنازل عن حريته في التصفيق خلافا لما تعود عليه في السابق حيث كان الناس يصفقون في نهاية كل اغنية .

وكذلك كان المغنون وافراد الاوركسترا ومهندسو المشاهد مضطرين الى ان يخضعوا انفسهم للجو المحيط بهم ، ويصبحوا ذرات في تيار واحد هو تيار خيال المؤلف المسرحي العنيف . ان الابواب تغلق والانوار تصبح باهتة ، وحين يرفع قائد الاوكسترا عصاه يصبح كل امرىء في القاعة عبدا للموسيقى . ولم يكن هناك اوقات انتظار ، وعندما تتغير المشاهد يبقى النظام نفسه سائدا ، والاضاءة والآلات المسرحية الاخرى مستمرة في تأدية وظائفها . واستمر هذا النظام الذي اسسه فاجنر الى يومنا هذا .

ان المرء ليصعب عليه ان يؤرخ اعمال فاجنر بصورة دقيقة فقد تعود فاجنر ان يبدأ بكتابة دراما ويهيء تخطيطا لها ، ثم يستغرق في عمل آخر تاركا عمله الاول الى سنوات عديدة ليعود اليه مرة ثانية .

ويمكننا ان نقرر بان اهم اعماله هي مجموعة الاوبرا المسماة « بالخاتم » . وكانت فكرة فاجنر الاولى كتابة دراما بعنوان « موت سيجفريد » مرتكزة على حكاية من الاساطير الالمانية البطولية ، الا انه وجد بان القصة محتاجة الى ايضاح طويل يقتضيه كتابة اوبرا اخرى كمقدمة لها ، ثم قاده هذا العمل الى اضافة اوبرا ثالثة ثم رابعة حتى استقامت له هذه المجموعة المسماة بالاسم السابق . وكان فاجنر في المدة التي كتبها فيه يمر بتطورات هامة لهذا فان القسم الرابع من هذه المجموعة جاء اكثر تشابها لطراز الاوبرا التقليد منه في القسم الاول . وكان انتحار البطلة برمي نفسها من ظهر الجواد الى النار المندلعة من احراق جثة زوجها تذكرنا باوبرا « اوبر » المسماة فنيلا التي قفزت الى فوهة بركان فيزوف ، وبيهودية « هاليفي » التي قفزت الى قزان للنفط الملتهب كما ان التخريب الذي اصاب القصر من جراء النار يرجعنا الى اوبرا « ليدويسكا » لجيروبني (١٧٩١) حيث كانت هذه الاوبرا كثيرا ما تمثل في المانيا عندما كان فاجنر شابا . ويذكرنا غوص « هافن » في نهر الرين الفائض بعدد مشابه لهذا الموقف في عدد من المسرحيات الفرنسية .

وما خلا هذا التراث من التقاليد القديمة فان « الخاتم » يتخلص من جميع الاسطر القديمة ويشعر المرء بان فاجنر يتبع طريقة شعرية حرة . ولكن فاجنر في الحقيقة ابعد من ان يسمح لموسيقاه بان تكون فوضى لا شكل لها ، وهو ينظم شعره حسب الشكل الموسيقي ، ولهذه الغاية اختار وزنا شعريا جديدا كل الجدة اقتبسه من الشعر الالماني في القرون الوسطى واساسه تجانس حرفي في الكلمات ، واستخدم الابيات القصيرة بدلا من الابيات الطويلة التي جعلت « لوهنكرين » مملة جدا .

واستطاع فاجنر ان يستغني عن النغمات الفاصلة وفرق المغنين بانواعها المختلفة والجوقات الموسيقية . وكان يرمي في ذلك التخلص من الطراز القديم للجوقة الغنائية التي لم يكن لها الا ان تقف على المسرح وتصرخ بصوت شبيه بالموسيقى النحاسية وفي ايام « بليني » و « دونيزيتي » كان اعضاء الجوقات يتعلمون كل شيء بالسماع ، وكانوا تعساء يتقاضون اجورا ضئيلة ، وفي الاوبرات الالمانية والفرنسية والايطالية كانوا في الغالب من

الرجال .

وأصبح فاجنر بعد سنوات من القطيعة عن كل اتصال ألماني أكثر انهماكا بعظمة افكاره . وفي عام ١٨٦١ قام بزيارة الى باريس حيث كانت له تجارب مريرة فيها . ومع ذلك فقد كان لــه فيها أصدقاء فرنسيون معجبون أغلبهم من الشخصيات البارزة في المجتمع الباريسي . وهناك أخذ « الخاتم » ينمو في مخيلته باطراد ، ولكنه ادرك ان ذلك لا يتحقق الا حين يبني مسرحا منفصلا خاصا به يكون كمزار مقدس له . وحدث ان اصبح فاجنر في عام ١٨٦٤ تحت رعاية لودفيج الثاني ملك بافاريا . وكانت فكرة المسرح الاحتفالي ما زالت عالقــة في ذهن فاجنر فاستطاع ان يحققها ، وقام المسرح آخر الامر في بيروت BAYREUTH وهي مدينة صغيرة بعيــدة جدا عــن « نوربورج » . وفي عام ١٨٧٦ أقيم اول تمثيل للخاتم في هذا المسرح . ثم مثل بعد ذلك في باريس ولندن وميلان . وحين مثل الخاتم لاول مرة كانت تجربة لا تنسى ، ولكننا حين نراه اليوم لا نجده غير اوبرات اربعة مجتمعة قد تكون بنفس المغنين وبنفس الاوركسترا وليس فيه شيء خارق . فقد تطورت الموسيقى ، واصبح الناس ليس لهم وقت للانصات الى حركة بطيئة للتاريخ البدائي لالهة التيتون وابطالهم . كما ان الخاتم لم يعد يتعب منتجيه ابدا .

ويجدر بي ان اشير هنا الى « تريستان » و « سيد المغنين » فان معظم الناس يختلفون في تقدير هذين العملين ايهما الافضل وايهما الاحب ! ان تريستان كرنفال الوان وكثيرمن الناس يرونه سقيما منحطا بصورة لا تحتمل . « سيد المغنين » تروق لاصحاء العقول من الانجليز الذين يرون ان تكون الموسيقى صحيحة البنية . وفي الحقيقة ان كلا من هاتين الاوبراوين تعتبر في ألمانيا رمزا وطنيا .

وفي بارسيفال – وهي آخر اعمال فاجنر – طلب فاجنر من الجمهور خضوعا تاما لرغبته . وكانت رغبته الا تمثل هذه الاوبرا خارج مسرح بيروت وبقي معمولا في هذه الرغبة حتى عام ١٩٠٣ . وكانت في المانيا تمثل في ايام « الجمعة العظيمة » حيث كانت تغلق في ذلــك المسارح وبارسيفال تعتبر عملا طاهرا عظيما حيث يمثل فيهــا قداس كاثوليكي ، وان كان بعض الورعين يعتبرون ذلك تجديفا ، وكان فريق من الناس يعتبرونها استغلالا غير مخلص للدين .

اما عن اعمال فاجنر الادبية وتغيراته لاوبراته فعلى الرغم من انها كانت دعاية ذات قيمة في عصره . فان فاجنر في نظر معظم الناس اليوم ليس الا موسيقيا وشيئا آخر صغيرا . لقد انقضت ايام النقاش حول ما خلفه فاجنر واصبحت « موسيقى المستقبل » موسيقى الماضي . ومع ذلك فان لفانجر مكانا ممتازا في عالم الاوبرا . ان الانسان حين يرجع الى الوراء وينظر الى تاريخ الموسيقى في عهد فاجنر ، والى التطور الذي جعل من المانيا قائدة لاوروبا في الموسيقى ليدهش حين يجد الاوبرا قد لعبت دورا صغيرا في ذلك التاريخ .. ماذا ترك بتهوفن لنا من الاوبرا ؟ .. عملا واحدا فقط ، وشوبرت ؟! .. عددا من الاخفاقات ، وشوما ومندلسون ؟ كانت تجاربهما محدودة ، وليس هناك غيروبر يمكن ان يقف الى جانب فاجنر وهو في بعض الاحيان لا يعتبر بمستوى اساتذة الالمان الاخرين .

وفاجنر قدم خدمات جليلة للاوبرا الالمانية بمــا لا يقاس بما قدم الآخرون .

غائب طعمة فرمان

حبيب

الى رباب الصغيرة

نفضت كفي من تراب الحبيب
أنــا الــذي شيــع أوراده
وقلت للقبر الــذي ضمــه :
عــين حبيبي كالضحى نشوة
اذا بكت عينــاي أفراحــه
ففي فؤادي طيفــه المشتهى

وعدت أبكيــه بدمعي الصبيب
من قبل أن أشرب تلك الطيوب
يا قبر ، لا تعبث بقلبي الكئيب
وهمسه ، همس ظلال الغروب
وغاله الموت الــذي لا يخيب
وفي ضلوعي ، لحد ذاك الحبيب

السلمية – سوريا **انور الجندي**

ابراهيم الدبـــاغ شاعـــر فـلسطين

بقلم خليل جرجس خليل



في السادس والعشرين من شهر يناير ١٩٤٦ ، انتقل شاعر في طليعة الشعراء العرب من عالم الفناء الى عالم البقاء ، بعد ان ادى رسالته في الشعر ورسالته في الحياة احسن أداء .

ذلكم هو المرحوم الاستاذ الشيخ ابراهيم الدباغ ، الشاعر الفلسطيني المصري ، وشاعر فلسطين ومصر .

يا ويح ارض الشرق من عاصفة	تحمل من ويل سحابا ممطرا
يا وطني الاول لست وطنا	الا لتلفيق الحديث المفترى

كان الشيخ ابراهيم الدباغ هو شاعر فلسطين الوطنية ، أحس بأحاسيس قومه وترجم عنهم اصدق ترجمة في اصدق تصوير ، ولما اشتدت الوطأة على العرب في فلسطين نزح الى مصر واقام فيها اكثر من ثلاثين عاما يهتف بالشعر الوطني القوي الذي كان يفعل فعله في النفوس ، ويأخذ طريقه في التأثير . وكان يجد مصر صنوا لبلاده فيما تعانيه وفيما تؤمل فيه ، فاتخذها وطنا ثانيا له ، نافح عنه بشعره وبأدبه ، وظل يخطب في المحافل ، ويكتب في الصحف ، وينشر في الكتب ، حتى ملأ الميدان الادبي بانتاجه ، والتفتت اليه الاسماع والاذهان ، والتفت حوله الصدور والقلوب .

كان شيخا جليل الشأن ، عظيم القدر ، وشاعرا مجليا لا يشق له غبار ، تثقف ثقافة عربية فقهية في الازهر الشريف ، وتبوأ بين علمائه واصفيائه مكانه المرموق ، ومن هؤلاء شيخنا السيد حسن القاياتي عضو مجمع اللغة اطال الله بقاءه ، والاستاذ علي الغاياتي صاحب « وطنيتي » ، « ومنبر الشرق » ، مد الله في عمره والمرحوم الدكتور زكي مبارك ، وغيرهم .

كان هو الشاعر المتحرر المقدام المتمكن ، تصرف في فنون الشعر تصرف الخبير الحصيف .. ومع الاصالة والجزالة ، ومع التجربة الشعرية والمقدرة ، أوتي رقة الاحساس ، وامتياز التذوق ، وخفة الروح ، فارسل انشاده في الوطنية وفي فنون الشعر الاخرى ، والشعر الغنائي بخاصة ، حتى كان انتاجه في الغزل وفي الغناء والمناجاة يبلغ اقصى حدود الروعة والعذوبة ، وافاد المسرح على عهده من قصيده ونشيده وادبه الشيء الكثير ، فكان الشيخ سلامه حجازي والشيخ سيد درويش والشيخ عبده الحامولي وغيرهم يهرعون اليه ويسالونه هل من جديد ، ثم هل من مزيد ؟

وقد يبدو غريبا أن اتحدث الى شباب اليوم عن شاعر من جيل غير هذا الجيل ، وربما ظنوا اني ارسم صورة مبالغا في خطوطها ، وهم لم يتعرفوا الى هذه الشخصية الكبيرة التي اتناولها بالوصف ، ولم تصافح اسماعهم هذه الاصداء التي ادلهم على مصدرها .. ولكن يؤسفني ان اقول ان هذه هي مشكلة الادب والشعر والادباء والشعراء عندنا .. فما دام هناك شاعر او اديب قد نشأ في جيل متقدم فما يكون من شأن الجيل الجديد ان يلتفت اليه او يعني به ! .. وكم من اديب وكم من شاعر اقام بيننا حينا من الدهر ، وشغل الدنيا بنبوغه وبعد صيته ، ثم مضى فكان لم يوجد بالامس ، ونسى ونسيت آثاره بعد ذاك الحين ، وفي مصر ذاتها كل شيء فيها ينس بعد حين !

لقد دارت بي الايام حتى	تقاذفني الاسى في كل يوم
فؤادي منه في ليل كصبح	وعيني منه في ليل بهيم

الـذ بـه واجرعه كئوسا	واذهل عن مشاطرة النديم
كاني منه في عرس تصدى	نثار الدمع فيه للنظيم
جنيت ثمارها وتركت فيها	صبابة راحل وهوى مقيم
رأيت الناس تضرب في سفاه	من الاحلام والفهم السقيم
تشابه عندهم قصر وكوخ	مشابهة الشقاوة والنعيم
وبينهما اذا نظروا خلاف	كما بين المسافر والمقيم

لا عليكم ايها الزملاء ان انتم شققتم لانفسكم طريقا او مذهبا ومضيتم فيه غير متوقفين ، ولا عليكم ان جددتم في المذاهب او ارتأيتم رأيا جديدا .. ولكن قولوا لي كيف نستبيح لانفسنا ان نغفل الامثلة التي تصلح مقياسا يقاس عليها ، وقدوة يقتدى بها ، وكيف نغفل فضل السلف ، ونهمل ما شاده لنا السابقون ، ونتناسى اقدار الرجال والاعلام الذين شقوا لنا الطريق ، وعبدوه ، وارشدوا اليه ، وعاونوا عليه ؟

وشاعرنا الذي نذكره في ليلة ذكراه هو واحد من هؤلاء الاعلام الافذاذ ، كان من حظي ان اتعرف اليه والازمه منذ سنة ١٩٤٠ ، وقد وجدت فيه شخصية عبقرية تحدث في الادب والشعر حدثا عظيما بما اوتيت من موهبة واستعداد ... وجدت استاذنا الشيخ ابراهيم الدباغ غنيا بالاستعداد الادبي ، شعره هو الشعر الذي يكتب له الخلود لانه غير مصنوع ، ولا مقلد ، بل جليل المعنى والبناء ، ذو جدة وخطر .. تلقته الصحف وافسحت له مكانا في الصدارة ، ونشر منه مختاراته في ديوان كبير مشهور هو ديوان « الطليعة » ، وقفاه بديوان الطليعة الجزء الثاني ، ولما استأثرت به رحمة الله اهتم باثاره ابن شقيقه الوفي صديقنا الاديب الكبير السيد مصطفى درويش الدباغ ، قاضي محكمة البداية في مدينة الخليل الآن ، فنشر كتابا بعنوان حديث الصومعة ، جمع فيه بعض آثاره ، ثم نشر في العام الماضي كتابا آخر بعنوان « في ظلال الحرية » ، وتضمن بعض شعره وبعض نثره .

وقد قال لي السيد مصطفى الدباغ ، الذي عني بآثار الفقيد الكبير ، وجمع الجذاذات من هنا وهناك ، ان لديه من آثار الشيخ ما يستطيع به ان ينشر مائة كتاب ، من مثل كتاب « في ظلال الحرية » ، وهذه القولة وحدها تقرب الى الاذهان مدى ما كان الشيخ ميسرا له من غنى الانتاج وغزارة المادة وادمان الكتابة والتاليف ، وخصب القريحة !

وكان الشيخ على ذلك كله ، وعلى ما يعانيه من النهوض بهذا العمل الادبي الجليل ، غير متمتع في اعوامه الاخيرة بما يتمتع به سائر الناس من صحة وعافية وسلامة ، بل اهتدت اليه التجارب ، واصطلحت عليه الادواء ، فكان يعانى من الاملاء ، ومن الاصدقاء ، ومن حرفة الادب والادباء !

قلت له ذات يوم بلهجة الثناء وانا اضمر له في فؤادي الرثاء :

اني اراك كأبي العلاء ، رهين المحبسين !

قال رحمه الله :

– انت متاخر .. انما انا رهين الاحباس

قلت : « وما ذاك ؟ »

قال : « اما ترى ؟ انا مصاب باني لا ارى ، وباني مريض ، وانا على هذين في هذا المحبس الذي لا استطيع ان اغادره ! »

اجل ! .. كان الشيخ قد اصيب في عينيه ، واصيب بالمرض الثقيل الوطأة المستعصى الشفاء الذي لم يصب به من مصدر الشيخوخة بقدر ما كان من مصدر رضيقه بالدنيا وتبرمه بالاحوال الجارية فيها وكان لذلك لا يستطيع ان يخرج من الفندق الذي يقيم فيه بصفة دائمة !

الى حبسي الى حبسي	لقد تاقت له نفسي
وما خوفي من الجن	ولكن من بني الانس
وما تخلو حياة الوحش	من خوف ومن انس
ويأس من نعيم العيش	اسلمني الى البؤس
فيا كأس الاسى هلا	ملأت من الاسى كأسي

وكما كان الشيخ ظاهرا بشعره ومواهبه ، كان ظاهرا متميزا باخلاقه وقوة شخصيته ، فقد كان حرا كريما ، ابيا ، مهيبا ، لا يفرط فيما يمس كرامته ولو من بعيد ، ولا يقبل عملا على حساب خلقه او كرمه مهما تكن الاسباب ، ومهما تكن النتائج ، ولذلك احبه الناس واحترموه ، وقدروا فضله ومزاياه .

واظهر ما في الموضوع كله انه نفع اللغة والادب بما اسهم فيه وانتجه من ثمرات ناضجات يفيد منها الادباء والمتادبون ، وتعتز بها الوطنية ، والمكتبة العربية ، وتظل ذخرا لمن يقبل ، ولمن ينهل ، ولمن يسجل ، ولمن يعرف للناس اقدارهم الحق !

وقد حرصت على كتابة هذه الكلمة في مناسبة ذكراه لانه احد الامثلة العظيمة التي ندل عليها في مناسباتها بوصفها بناءة ترسم الطريق الصحيح ، الذي يسلكه الادب والذي ينبغي ان يتابعه المتادبون ، ان هم ارادوا الطريق المضمون ، او الطريق المأمون .

رحمه الله ، ونضر وجهه ، وطيب ثراه ، واجزل مثوبته في دار الخلد بما افاد به عالم الادب في عالم الناس .

القاهرة — **خليل جرجس خليل**

قصة بقلم اشيكاوه

خواطر في الظلام

ترجمة محمود السمره

قالت له زوجه بصوت تدل نبراته على الصدق : « اذا صح وفقدت بصرك ، فلن استطيع تحمل الصدمة ، اذ لا استطيع ان اراك عاجزا تتحسس طريقك . اليس مثل هذا المستقبل حالك السواد ، وخير منه برودة الموت ؟! » ثم اضافت : « حقا لماذا لا ننتحر معا ؟ ان من المفزع المرعب ان نعيش حياة نزداد بها كل يوم بؤسا . » وكان في بعض الاحيان يوافقها على كلامها .

وفي يوم فاجأها بقوله : « لقد فكرت ليلة الامس فيما يمكن ان اعمل لو فقدت بصري ... ما رايك في كتابة القصص البوليسية ؟ سافكر في واحدة كتجربة . ثم امليها عليك . »

كانا جالسين متواجهين ، والاربطة البيضاء ، تغطي عينيه ، وشمس الربيع المتسللة من النافذة على كتفيه ... منظر مؤلم باعث على الرثاء ! وحاولت ان تتصوره كاتبا للقصص البوليسية ، وقد ازداد سمنا لقلة الرياضة ، واصبح شاحبا لان ضوء الشمس لا يصافح وجهه ، وتانك العينان المغمضتان تحملقان في الظلام ... الظلام السرمدي؛ وفي ذاك الظلام سيتخيل مناظر قصصه : القتل ، والدم المسفوك ، والخناجر ، والصراع العنيف من اجل بعض توافه الحياة . هذا كل ما سيراه ... المناظر البشعة المخيفة . وهكذا سيخلق في دنياه المظلمة مجتمعا اشد اظلاما ؛ عندها ارتجفت ، وسرت القشعريرة في جسدها ، ثم هزت راسها دلالة الرفض وقالت : « لا ! لا احب لك هذا العمل ، وخير منه الموت ! »

فابتسم ابتسامة وديعة من وراء اربطته ، ولم يتكلم .

***

كان يقضي ساعات النهار في الاستماع الى الراديو ، وفي الصباح والمساء تقرأ له زوجه الصحف . وفي نوبات اليأس كان يفكر فعلا في الانتحار ، كما اقترحت زوجه ؛ كما كان يأسه يدفعه احيانا الى التفكير في مشاريع مضحكة يكسب منها عيشه . ولكن الايام جعلته اكثر واقعية ، واقل قلقا ، فلم يعد يفكر في مشاريعه المضحكة ، واخذ يعتقد انه حدث وغاب نور عينيه ، فلا بد ان يحدث شيء ما ؛ شيء لا يستطيع تصوره الآن .

كانت تراقبه يوما ياكل ، وكانه طفل ، فتتساقط حبات الرز فتنحني وتجمعها . كانت يومها قلقة فلم تتمالك ان صاحت به : « الا تعرف حتى الآن كيف تأكل ؟ »

ولكنه لم ينبس ببنت شفة . كان يشعر ان الايام تزيد زوجه بعدا عنه مما جعله يحس بوحدة قاتلة . وكان كلما ازداد بؤسا يتمنى ان تزداد منه قربا . وكانت هي بدورها تحس احساسا واضحا بالهوة السحيقة التي تفصل بينهما . عجبا كيف لم يحس بهذه الهوة عندما كان صحيحا وقادرا على عمل ما يريد ! لكان الصحة تبلد احاسيس الانسان !

ونظفت له السمكة من الاشواك ثم وضعتها في صحنه وقدمتها اليه .. عمل محزن لكأنها تعتني بابن اربع سنين . واكل السمكة دون بادرة تلذذ او شهية فكأنه آلة تعمل ، لا يتحرك منه غير فمه ، واكلها كلها ثم اخذ يتلمس بشوكته بقاياها ، فيحاول ان يغرزها في النقوش البيضاء في صحنه، فاللون الابيض هو اللون الوحيد الذي كان يستطيع تمييزه . ووضعت زوجه شوكتها وراقبت محاولاته الفاشلة ، ثم انفجرت في بكاء مر قائلة : « ان ذاك هو النقش في صحنك ، فقد اكلت كل ما فيه . » فلم يجب بل بلع ما تبقى في صحنه من رز ، ثم القى بشوكته على الطبق وهو

تانسوزو اشيكاوه من أشهر كتاب القصة المعاصرين ، ولد سنة ١٩٠٥ وتخرج في جامعة واسيده بطوكيو .

يحس بثورة عميقة مكتومة .

***

كان عليها كل يوم ان تقوده من يده وتخرج به الى الشارع لتضعه في عربة يركبانها الى الطبيب . والايام لا تزيد الطبيب الا يأسا من حاله . كانت تشعر بالوحدة ولا تجد حولها من تلجأ اليه . وكانت كل يوم قبل خروجها معه الى الطبيب تحس برغبة قوية في التجمل تملك عليها نفسها ، ولكنه كان يتراءى لها ان من الحمق ان تتجمل ما دام زوجها لا يستطيع رؤيتها ؛ ثم لا تلبث ان تهرع الى زينتها .. أتراها كانت تتزين للناس ؟ لقد كانت تعرف تمام المعرفة انها على خطأ فيما تفعل ولكنها لم تكن تستطيع كبح جماح غضبها وثورتها عندما تراه ضعيفا باعثا على الرثاء .

وفي يوم جلست امامه وركبتاهما متقابلتان ، وفجأة فتحت يدها اليمنى على مسافة ثلاثة اقدام من وجهه وسألته : « أترى يدي ؟ » – « لا أرى الا شيئا ما لا أتبينه . » ثم رفعت له ثلاث أصابع : « كم اصبعا هذه ؟ » فلم يجب . انه أسوأ من الامس ! وبعد فترة صمت قال : « لا ادري . » فصرخت فيه بصوت قاس « حاول الآن . » وادنت يدها حتى اصبحت على بعد قدمين من وجهه ولكنه رغم هذا لم يتبينها ... « أصبعان ؟ » وفي ذلك اليوم لم يستطع معرفة عدد الاصابع الا عندما وضعتها امام عينيه بحيث لامست انفه. لقد غلب على امره وقهر ، ولم يعد باستطاعته ان يقاوم ثورتها .

– اعدي السرير من فضلك .

– أترغب في النوم ؟

– وما فائدة الجلوس هكذا ؟

فتطلعت بنظرة فاحصة الى وجنتيه المتلئتين ، ولحيته التي طالت شعراتها بشكل منفر ، فنهضت وغلت ماء ثم وقفت خلفه وحلقت له لحيته بصمت جاف غليظ .

***

وفي أحد الايام طلب منها ان تدنو منه ، فاقبلت ووقفت امامه ، فأخذ يمرر يديه فوق قدميها ، فقالت له : « ماذا تريد ؟ » فضحك وقال : « كنت أصيخ السمع لخطواتك فخيل لي انها غريبة الوقع ، فقلت لا بد انها رصاء القدمين ، وفعلا هكذا انت . » لقد كانت هذه هي المرة الاولى التي يلاحظ فيها شكل قدميها منذ ان اتصلت اسباب حياتيهما .

وفي احد الايام وضع مجموعة من الصحون والاواني المعدنية في صف على رف ، واخذ يضرب عليها قائلا : « ان الانسان اذا وضع سلما موسيقيا بهذا الترتيب فسيكون اشبه بالبيانو . » ان من الغريب ان يلتذ انسان ، في مثل حاله ، بمثل هذه الامور !

وكانت عندما تستسلم اليه ، لا تستطيع ان تتخلص من فكرة تسيطر عليها وهي ان من تضمه ليس الا انسانا آخر . وعما قريب سيصبح وجودها حلما طافيا في ظلمته. واستبد بها الخيال فتصورت انه لو قدر لها ان تفقد بصرها فقد تحيا حياة جديدة باحاسيس جديدة كلها صفاء ونقاء في عالم خال من المكدرات ، عالم قد تخلص من قيود اللون والحدود ليس فيه الا عالم اللمس والذوق والسمع . وامعنت في تخيلاتها فاغمضت عينيها فتراءت لها دنيا من الاسرار والجمال لم تحس بها ابدا في جميع لياليها السالفة .

***

وفي صبيحة احد الايام ضمها اليه وقال : « بعد الآن لن استطيع رؤية النور ابدا . » فتصلبت عضلاتها ، وحملقت في وجهه ، فشعر بهذا ، فهدهدها قائلا : « لا تجزعي ، فانا لا ارى فرقا كبيرا بين النور والظلمة . » ونظرت في عينيه فرأتهما مبيضتين مظلمتين كعيون اولئك المدلكين الذين كثيرا ما نذهب اليهم،فارتجفت رعبا مما رات. فضمها اليه قائلا لها بهدوء وحنان : « حسنا ! علينا الآن ان نهيء انفسنا لهذه الحال الجديدة . ولنبدأ بالتفكير بمهنة مناسبة يستطيع ان يقوم بها رجل أعمى مثلي . ان حالتنا ليست بالسوء الذي تتصورينه . فلا يزال امامنا كثير من الوان السعادة وهي ملك ايدينا نستطيع ان ننعم بها ان اردنا . » فاخفت وجهها في كتفه ، ثم اخذت تبكي بكاء صامتا هادئا ، اما الانتحار فلم يخطر لها ببال ، فالعمى مصيبة دون ما تصورت بكثير . ثم عانقته بحب وحنان ، مطوقت عنقه بذراعيها ، والقت براسها على صدره ، كما كانت تفعل قبل ان تعبر بحياتهما هذه السحابة .. من سحب الصيف .

الكويت — محمود السمره

يــا امــاه

ترنيمة فتاة على جثة امها ... مهداة الى الانسة « L »

✳

أماه يا اماه جـاء الصبـاح ولى الدجى الجاني وأبقى النواح
وانت في مهـد الفنـا غافيـه
يلوح حتى من وراء الوشاح في وجهك الاصفر طيف ارتياح
هل انت عن جرم الردى راضيه ؟
أماه يا أمــــاه ان الفراق نار وذكرى وأسى واحتـراق
وحسرة في مهجتـــي باقيـه
شوقي جحيـم ثائر لا يطاق وكلما رمت نعيـم العنـاق
سالت دموع القلب كالساقيــه
قبلت يا اماه منك الجبـين بقبلة يصرخ فيهـا الحنين
قبّلت حتى الشفـة الذاويــه
وضعت وجهي فوق صدر أمين فأقبلت نحوي ذئاب السنـين
تنهش في مهجتـــي الداميــه

***

أمــاه يا أمــاه ان الحفر تقول للانســان : أين المفر ؟
ما قيمـــة الافراح والعافيـه ؟
ما بعد صفو العيش الا الكدر لا يعقب الافراح الا الضجر
يفيض من حياتنــا الفانيه
ستصبح الاشواق عنـدي نغم مقدسا مخضبـا بالالـم
تبعثــه أوتـاري الشاكيــه
نامي دعيني لحيـاة السأم ما بـين أشواق وهم وغم
أسبـح في دموعي الجاريـه ...

بغداد حارث طه الراوي المحامي

مصطفى الشهابي في مجمع اللغة العربية

✳

كلمة الدكتور منصور فهمي

يساير مجمعنا المجامع العتيدة الكبرى في أصول نظامه، فاذا خلا من المجمع كرسي ممن كان يشغله تقدم عضوان لتزكية من يحل في المكان الذي خلا ويبرران التزكية ببيان عن مؤهلات من يزكي . ثم تعقد جلسة لاجراء انتخاب سري وينبغي لمن يفوز فيه ان ينال اصوات الثلثين من اعضاء المجمع .

وكان الامير مصطفى الشهابي من اعضاء المجمع المراسلين منذ زمن بعيد . وكثيرا ما اتصل بالمجمع فبعث اليه باقتراحات وامده بملاحظات كان من شأنها ان تأكدت الروابط العلمية الوثيقة بين المجمع والامير وقد رشح للعضوية العاملة للمرة الاولى في اوائل الصيف الفائت ونال عند فرز الاصوات عشرين صوتا وكان ينبغي له ان ينال صوتا واحدا زيادة على ما ناله وظفر به من الاصوات ورفعت الجلسة عندما اوفت على نهايتها المالوفة على ان يعاد الانتخاب في جلسة اخرى لجميع من اقر مجلس المجمع ان يدور بشأنهم الانتخاب . ومنذ شهرين تقريبا كان موعد تلك الجلسة الاخرى واذا بالامير الشهابي يحصل على اجماع اصوات الحاضرين الا صوتا واحدا واعلن فوز الامير مصطفى وذاع نبأ نجاحه القاطع الذي تجاوز ما يطلب من العدد لاصوات الناخبين .

ولو اني قصدت الى التعمق في تفسير هذه الظاهرة التي تتصل بالحاق الشهابي بالمجمع والتي تصور نوعا من انواع الامتحان او ضربا من ضروب الحكم في تقدير الزمالة العلمية لقلت ان الزميل الكريم جاز الامتحان في الدور الاول وجازه في الدور الثاني معا .

اما في الدور الاول فان الصوت الواحد الذي أعوز زميلنا للفوز الرسمي كان صوت مزكيه ومقدره العلامة المرحوم الدكتور احمد امين الذي شاءت الاقدار ان يصاب بمرض الزمه الفراش فيتخلف عن جلسة الانتخاب . واما في الدور الثاني فقد نال الامير الفوز البات القاطع بما يشبه الاجماع اذ نقص زميلنا صوت واحد من اصوات من حضروا الجلسة ليتم له الاجماع كاملا والصوت الذي تخلف انما هو صوت من اصوات اهل العلم والفضل والحجى لان كل من في المجمع هو من اهل العلم والفضل ، ولكن لهؤلاء ان يترددوا وان يحتاروا ولعلهم يشبهون في ترددهم وفي حيرتهم تردد خراش وحيرته حين تكاثرت عليه الظباء التي هم بصيدها واخذ يقول :

تكاثرت الظباء على خراش فما يدري خراش ما يصيد

وفي الحق ايها السادة : ان مجمعنا كثيرا ما يتكاثر عليه الفضلاء والادباء والعلماء ممن يرجون لخدمة المجمع وكلهم ممن يقدمهم اعضاء من المجمع وكلهم جدير بان يكرن بين الزملاء . لكن للظروف عملها وللاقدار نصيبها وللاحوال اعتبارها ولله توجيهه وحكمته في تقديم او تأخير من يتسابقون ومن تدعو حاجة المجمع اليهم وايثارهم بالتقدير على غيرهم . وان شان السباق في مضمار هذا المجمع كشأنه في غيره من المجامع . فقد يتسابق المتسابقون مرارا وتكرارا وتبلغ اشواطهم الى العشر بل الى اكثر الى ان يقر العضو المرشح في مكانه والى ان يبلغ الهدى سجله .

★★★

لما تقدم زميلي المرحوم الدكتور احمد امين والواقف امامكم لترشيح الامير مصطفى الشهابي لعضوية المجمع العاملة ارفقنا بهذا التقديم بيانا قصيرا عن مؤهلاته وتنتهي خلاصة هذا البيان الى بعض كلمات تكتب في سطرين او اسطر فقلنا : ان الشهابي وضع معجما علميا في الالفاظ الزراعية والنباتية وان له بحوثا تاريخية وادبية وعلمية شتى وان له ولعا بلغة العرب . وانه تولى عدة من كبرى المناصب الادارية والسياسية في الدولة . وربما يكون يومنا هذا هو انسب الايام لقليل من الافاضة في شرح تلك الكلمات الموجزة في مبناها والغنية في معناها لان هذا اليوم هو يوم استقبال الزميل ويوم الاحتفاء به ويوم عرسه المجمعي .

★★★

من فضل القول ان اشير الى ان اعضاء المجمع جميعا مجندون ومسلحون لخدمة اغراضه وانهم ، وان جمعت بينهم وحدة الشكة ووحدة التسلح ووحدة الهدف ، الا ان لكل فرد نوعا من انواع السلاح كما ان له مزاياه الخاصة في استخدامه ، وله اساليبه الشخصية في الانتفاع بما تسلح

به . والمجمع كالجيش الواحد قد تتنوع اسلحته وتتعدد وحداته ، ولكن افراده جميعا يتشابهون في الفترة وفي بادي المظهر وفي الايمان بالعزة وبالواجب حين تدعو العزة الى النشاط وحين يدعو الواجب الى صالح العمل . فمن اهل المجمع من تستفيد اللغة بذوقهم المرهف وبيانهم الجزل ، ومنهم من يفيدها بأدبه المصفى الفياض ، ومنهم من يعينها بتحصيله الواسع وعلمه الزاخر ، ومنهم من يمدها بذكائه والمعيته وفطنته الخاطفة ، ومنهم من يخدمها بسعة عقله او دقة تفكيره او حسن تدبيره ، ومنهم من يناصرها بحبه الحار وبغيرته المتوقدة ، او بغير ذلك من النوازع والحسنات والصفات التي تتشتت بين افراد المجمع وتتوزع فيهم ، والتي قد تتجمع اجزاؤها في بعضها او في اكثرها عند الكثيرين منهم .

والامير مصطفى الذي نحتفل اليوم باستقباله يجمع بين الكثير من هذه المزايا والنوازع والصفات . واني ساظلمه اذ اتعمد الاشارة المجملة في ذكر مزاياه ، ولا بد من ظلمه لان وقت القول فيه محدود ، ولان ما يربط بيني وبينه من الصداقة يؤخرني عن ان اسهب فيما اعلم له من المزايا ، ولان تواضعه الجم يرغب به عن ان يستمع الى ذكر محاسنه من صديق في مواجهته ، فحسبي اذن ان اجمل ما هو معروف له ، وبما يقال عنه من غيري من الناس .

يقولون عنه انه امير من الامراء الشهابيين وانه من مواليد حاصبيا من قرى جبل الثلج (جبل الشيخ) في عام ١٨٩٣ . فهو اذن سيكون في زمرة الزملاء الشباب ، وهو ابن الامير محمد سعيد ابن الامير جهجاه الشهابي . درس دروسه التجهيزية في دمشق واستامبول وفرنسا ، وحصل على شهادة مهندس زراعي من معهد الزراعة العالية في غرنيون في فرنسا ، وتقلب في مناصب الدولة العالية ، وتسلم منصب وزير في اربع وزارات ، فكان وزيرا للمعارف والزراعة والمال والعدل ، وكان محافظا لحلب وللاذقية ، وكان الامين العام لرئاسة مجلس الوزراء ، وكان سفيرا لسوريا في مصر وتخلى عن منصب السفارة في ربيع سنة ١٩٥٤ . وله في المناصب التي تولاها آثار عمرانية واصلاحية وثقافية كثيرة منها توزيع املاك الدولة على الفلاحين لايجاد الملكيات الصغيرة وذلك عندما كان مديرا للاملاك . ومنها تشييد دار الكتب في حلب ودار الكتب في اللاذقية ، وهو من هؤلاء القدماء العاملين لقضايا العروبة ومطالبها وانعاش روحها . وكان من اصرح اعضاء الوفود في المواقف السياسية وفي مجالس المعاهدات التي كانت بين بلده وبين غيرها من البلاد ، وحصل على عدة اوسمة علمية وغير علمية ، واشترك في عدة مؤتمرات ، والقى كثيرا من المحاضرات في دمشق وبيروت وبغداد والقاهرة ، وله عدة مؤلفات ، من اشهرها « معجم الالفاظ الزراعية » في الفرنسية والعربية وكتاب « الزراعة العملية الحديثة » وكتاب « الاشجار والانجم المثمرة » وكتاب « البقول » وكتاب « الدواجن » ، وله بحوث لغوية وعلمية في معظم مجلدات مجلة المجمع العلمي العربي ، ومن مؤلفاته المخطوطة كتاب « الاستعمار » في مجلدين وكتاب « الشذرات » وهو قسم من محاضراته ومقالاته العلمية والادبية التي كان ينشرها في « المقتطف » و « الهلال » وغيرهما .

هذه ايها السادة خلاصة مجملة لتاريخ الزميل .

***

انني عند ذكر قرية « حاصبيا » تتداعى الى ذاكرتي صورة لزميلنا المرحوم الدكتور فارس نمر في اخريات ايامه لان « حاصبيا » هي مسقط راس هذا الزميل المعمر عليه رحمة الله . واني تمشيا مع نزعة التفاؤل ، اسأل الله لزميلنا الشهابي ابن حاصبيا ان يمد له في عمر طويل كما مد لزميلنا وزميله ابن قريته . ولمناسبة ذكر هذه القرية يحضرني حديث تصويري أتت به مناسبة في جلسة من تلك الجلسات التي جمعتني بزميلنا الدكتور نمر في أخريات أيامه ، وكان هذا الحديث الزاهية صورته والوانه في مخيلة الشيخ الزميل المرحوم يدور في لهجة مؤثرة وجذابة حول معركة في الجبل شهدها الزميل الشيخ في صباه وظلت تفاصيلها رابضة في ذاكرته من نحو مائة عام . وتمثل هذه الصورة السيوف البواتر والخناجر المذهبة والخيول المطهمة والقدارات تصطف في طوايا الملابس والاحزمة والسراويل والاقبية والاعبية تزخرفها وتحليها خيوط من حرير او سلوك من ذهب او رسوم من قصب ، ويبدو فيها قتال بين كر وفر وعثير في ناحية من الجبل . وكان كل ذلك يصور عراكا رهيبا باسلا بين جدود لمصطفى الشهابي وبين خصوم لهم من أهل معروف يتنازعون الجاه والسلطان، ويتشادون للحكم وللسيطرة في ماضي الزمان .

وعندما تعاودني هذه الصورة المخيفة من صور الماضي وذكرياته مع صورة زميلنا المرحوم الدكتور فارس نمر في شيخوخته الوادعة الواهنة وفي حياته الحافلة بمختلف الذكريات والاحداث ، اعود لالقي نظرة عن يميني فتقع عيني على حفيد لهؤلاء الفرسان المغاوير فاراه في صورته الوديعة الباسمة وفي سمته الوقور وفي ثوبه الغربي الخالي من الزركشة والكشكشة والبريء من خنجر يتدلى ومن غدارة مدسوسة ، اعود فاذكر واتخيل لهذا الشهابي العالم الحفيد صولات وجولات في سبيل العلم والمصطلحات ، وربما لا تكون اقل شانا من صولات جدوده وذويه ، ولكنها صولات لا تفزع ولا تخيف ، بل تدعو الى الرضا والى التسليم ، وتأخذ بنا الى الاطمئنان والاذعان .

واني لا احب ان انتهي من بعض ما يذكره الناس عن الزميل الكريم وعن اسلافه دون ان اشير الى ما دونه المرحوم العلامة الدكتور امين المعلوف اذ قال عن لغة الشهابي في

مؤلفاته الزراعية .

(ما كتبت الزراعة باصلح منها منذ صدر الاسلام) فقد لبث الامير الشهابي نحو عشرين سنة يمحص الالفاظ العلمية الفرنسية المتعلقة بالعلوم الزراعية ، ويراجع المعاجم العربية وكتب الزراعة والحيوان والنبات القديمة لوضع اصلح الكلمات العربية المقابلة لهذه الكلمات الاجنبية . وهذا المعجم هو نتيجة الدراسة الطويلة والجهد العظيم ، فهو يشتمل على اكثر من تسعة آلاف لفظ فرنسي او علمي وضع المؤلف امامها اصلح الكلمات العربية ، ومن هذه الكلمات ثلاثة آلاف على الاقل من وضع المؤلف او تحقيقه وعرف معظمها تعريفا علميا موجزا ، واشتق هذه الاسماء بعد الرجوع الى اصول اسمائها العلمية باليونانية او اللاتينية . الى ان قال : ولا شك ان الامير مصطفى الشهابي ملأ بمعجمه هذا فراغا عظيما في حياتنا العلمية . وان هذا المعجم صدر في انسب الاوقات ، اذ تتجه البيئات العلمية والجامعية في مصر والبلاد العربية كلها الى تعريب المصطلحات العلمية والى تدريس العلوم الحديثة باللغة العربية . ولو وجد في كل فرع من فروع العلوم والفنون ما يقوم بما قام به المؤلف الجليل، لصار في ميسور مدارسنا ومعاهدنا ان تثبت قوميتنا العلمية ، وان تدرس لطلابها باللغة العربية التي كانت في يوم من الايام لغة العلم في العالم المتمدن كله .

ورغبة في الايجاز لا ازيد على ما قاله المعلوف وعلى ما اثبته في مقتطف شهر ديسمبر سنة ١٩٣٥ . لكن اضيف الى كلمة العالم المعلوف كلمة اديب كبير . فلقد قدر الادباء زميلنا وعرفوه كما قدره العلماء وعرفوه . والاديب الذي اعنيه هو من امراء البيان ومن عيون بني معروف ، ذلكم هو المرحوم العلامة الامير شكيب ارسلان . قال في كتاب له بعث به الى رئيس المجمع العلمي العربي « وما اريد الآن ان اتواضع لازداد تمدحا ولا ان اقابل ثناء بثناء ولكني اقول مقالة معترف بالحقائق رائز الوقائع . اين المثنى عليه من المثنى في تحقيقاته العلمية وتدقيقاته التاريخية ومطالعاته اللغوية وملاحظاته الادبية وتقريراته الزراعية وبحاره الزاخرة . انه لامير العلماء حقا وعالم الامراء فعلا . واني مع شيخوختي هذه لراض ان انضوي تحت لوائه ، كما انضوى شيوخ الصحابة تحت لواء اسامة .. الخ .

عند هذا القول من الامير الارسلاني ، ايصح لي القول اذا كان الحكم يفرق احيانا بين الاجداد فقد يوفق العلم بين الاحفاد . والعلم الحق عند العالم الجدير طالما يذهب بالضغائن ويسعى بالاحقاد ويدعوني ترابط الخواطر لان اتذكر صديقي المرحوم الامير عادل ارسلان اخا شكيب اذ

الاديب

✶

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسوريا : ١٢ ليرة

في الخارج : جنيه ونصف او ٦ دولارات ونصف

في الولايات المتحدة ١٠ دولارات ، في الارجنتين ١٠٠ ريال

اشتراك الانصار :

في لبنان وسوريا : ١٢٠ ليرة كحد اعلى

في الخارج : ١٢ جنيها او ٦٠ دولارا كحد اعلى

✶

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت أم لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

✶

ادارة الاديب : باب ادريس ، شارع الكبوشية

تليفون : الادارة ٢٣٨١٩ — المنزل ٢٥١٣٩

Tél. Direc : 23819 — Dle. : 25139

✶

صاحب المجلة ورئيس تحريرها : **البير اديب**

سكرتير التحرير : **الدكتور محمد يوسف نجم**

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب — صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت — لبنان

كان له شأنه في الكفاح للعروبة ، وكلاهما كان من ابرز اهل الادب الضالعين في ادب العروبة وشئون العرب . طيب الله ذكراهما ورحمهما رحمة واسعة .

***

ربما يتساءل بعضنا عن الاسباب التي مالت بالعالم الزراعي الدقيق ليتحول الى محب للغة وعلومها ، بل ليصير في بعض الاحيان ذلك الاديب الشاعر الرقيق . اني ايها السادة ممن يعتقدون بعمل الوراثة في الماديات والمعنويات . وهذا الزميل الذي نحتفي به اليوم لم يدرس في معاهد العلوم العربية ، ولم يجد سعة من الوقت في مشاغله العلمية والتاريخية والسياسية ليوجه جهوده نحو اللغة والادب ، ومع ذلك فهو بسليقته لغوي واديب . فاذا كان اخوه الشهيد الاديب الشاعر « عارف الشهابي » قد أفاد بعلمه الواسع في اللغة والادب اخاه الزميل مصطفى ، فان وراثة لغوية ربما تحدرت الى لسان الامير ونفسيته وقلبه من جدوده المخزوميين ، بل ربما تحدرت اليه منهم شاعرية الحارث بن هشام . وكثير من العلماء يتميزون بذوقهم الادبي واللغوي المرهف ، فضلا عن علمهم الدقيق فاذكر منهم « وفون » الفرنسي الذي يعتبر في الطليعة ممن لهم ذوق في الكتابة والادب حين تحركت اقلامهم في العلم الواقعي الخالص . واذكر من علمائنا في الصيدلة والمواليد الذين عاشوا من نحو قرن مضى وحسنت لغتهم وسما ذوقهم الادبي احمد ندا . وفي زملائنا الآن مثل زكي وعمار ونظيف وكامل ما يذكرنا بهؤلاء العلماء الادباء العالمين . فالشهابي عالم واديب متذوق للغة بسليقته ووراثته ، ولعل في وراثته القرشية المخزومية اكبر معين للغويته .

حسبي يا امير مصطفى ان اذكرك بالقليل مما قيل عنك . اما انا فلا اريد ان اقول فيك كثيرا ولا قليلا . وكنت أتمنى لو كان اليوم بيننا زميلي المرحوم الدكتور احمد امين وكان حيا في هذه الساعة لكنت القيت عليه تبعة تقديمك لزملائك لانه اقدر مني على ان يوفي للزملاء اقدارهم واخبر مني في استيعاب جهودهم العلمية الواسعة ووزنها . وحسبي الآن ان اذكرك بشيء عرفته فيك لا يعد مدحا ولا يحرص على اذاعته المادحون . اعرف عنك حب العزلة ، وقد لا تكون العزلة من الفضائل . انما تحبها لتلازم مكتبتك في البحث والتنقيب ، حتى انك كتبت الي يوما كتابا خاصا كما يكتب الصديق الى صديقه لتفضي الي بحرصك على لزوم مكتبتك في دمشق ، وبحرصك على ان تقنع من المجتمع بعضوية المراسلة لتتمكن من لزوم المكتبة ولتمده بما تمدك به من آثار التنقيب والتنقير ، وانك الحت على في الرجاء ان اعجل لذلك مع الرئيس ومع الزملاء ، ولكن لامر تريده الاقدار يجيئني ، كتاب متأخرا ، ولم الحق به رئيس المجمع ولا زميلا حين اختطفك المجمع لعضويته العاملة وانتزعك من مكتبتك وعزلتك انتزاعا ، واخطرت بذلك فقدمت بدافع من لباقتك ، وتلبية وتقديرا لرغبة زملائك ، برغم شوق مكتبتك اليك وشوقك الى مكتبتك ، وبرغم الحنين الى دارك وبرغم حنين دارك اليك .

برحت دمشق قبل انعقاد المؤتمر بايام ثلاثة . واذا بك تحل بسلامة الله في القاهرة . واذا بك تأخذ بالهاتف من الخان الذي نزلت به . واذا بك تقول لي بلغة الشام الحبيبة اني حضرت الساعة ، واني اهتف لك من الكونتيننتال . وهكذا يرغمك العلم ويريدك الله على ان تقدم على رغم ما اوعزت به الى ، لننتفع بجهودك ، ونحملك المجهود الكبير ، لانك من شباب المجمعيين ، وان كنت من شيوخهم في العلم . واذا بي الساعة اقول باسم الزملاء . مرحبا بك واهلا وسهلا يا زميلنا العزيز الامير .

منصور فهمي

كلمة الامير مصطفى الشهابي

يقولون ان لكل نفس في هذه الحياة هوى تستلذه وتميل اليه . فسبحان الذي جعل هوى نفوسنا حب لغتنا المضرية . حبا بلغ فينا مبلغ العشق لها بل مبلغ الشغف بها . وسبحان الذي ما احل في قلوبنا هذا الضرب من الهوى الا بعد ان ابدلنا بالتعب فيه راحة وبالالم لذة وبالسأم غبطة ورضى .

لقد امنا بلغة القرآن ايماننا بالقرآن . فما عسى ان تكون امنية كل مؤمن بعظمتها موقن بحيويتها كلف ببيانها وروعتها ؟ اهو غير الجلوس مع المؤمنين الصابرين المداوين لادوائها والحافظين لسلامتها والمجددين لشبابها والعاملين على جعلها اصلح ما تكون للتعليم العالي في الجامعات وللتعبير الصادق عما لنا من حاجات كثيرة في خضم هذه المدنية الحاضرة ؟

لقد شئتم من قبل ان اشاركم في عملكم مراسلا لكم من دمشق . وشئتم اليوم ان اشاركم فيه عاملا معكم في حصن اللغة والادب الحصين فشكرا لكم ايها الرفاق الاعزاء شكرا . وهل في سويداء القلب غير الشكران عندما يكون بيت المتنبي على عذبة اللسان ؟

اما العلامة الرئيس مربي رجال هذا الجيل ورأس علماء هذا الرعيل (الاستاذ احمد لطفي السيد) فارجو منه ان يتقبل شكر العارف بغزارة علمه وجزيل فضله وجليل

قدره .

واما انت ايها الاخ العلامة المنصور فقد تفضلت فاطريتني بكلمات كريمة وددت لو اني استحقها وما تلك منك الا عين الرضا ، تخفي ما في من عيوب او هو اناء الكرم والمروءة والاريحية لا ينضح الا بما فيه .

ويشجيني بعد هذا ان اتكلم على سلفي الاستاذ محمد كرد علي رحمه الله . فلقد صادقته المودة خمسا وثلاثين سنة . ورافقته في المجمع العلمي العربي بدمشق سبعا وعشرين سنة فكان لي فيها كله نعم الصديق ونعم الرفيق.

وماذا عسى ان اقول فيه في دقائق معدودة والذكريات تتزاحم في خاطري ، فلو اتيح لي ان انهض لها لالفت فيها كتابا براسه ؟

كان الفقيد انشط اديب اطلعته دمشق في النصف الاول من القرن العشرين . وناهيكم من رجل قضى اكثر من خمسين سنة من عمره والكتب والاوراق مبثوثة على مكتبه والقلم مثبت بين انامله ، فما كف قط عن البحث وعن الكتابة حتى آخر يوم من حياته .

ولنا ان نتصور مبلغ الفائدة فيما ينتجه الاديب المطبوع في هذه البرهة من الزمن عندما يكون مجدا في علمه ، مخلصا للغته ، محبا لقومه ، ساعيا الى نشر العلم والادب في بيئته .

فلا عجب اذن ان يكون للاستاذ ذلك التأثير الكبير في نهضة الشام الادبية وان يعده الشاميون عامة ، والدمشقيون خاصة في طليعة رجال تلك النهضة وان يجمعوا على انه كان اكبر مشجع لشباب الشام على مدارسة كنوز الاجداد الادبية وعلى التزود بزاد العلوم العصرية . ولم تكن محاربة الجهل في الشام من الامور السهلة في اوائل هذا القرن . فلقد كانت حجب الجهل على العقول مسدولة ، وكانت المدارس التي تعلم العلوم العصرية جد قليلة ، فحارب الاستاذ الجهل والحجاب والبدع والخرافات ، وحمل بقلمه على مغتصبي الاوقاف الاسلامية ، وعلى الشعوبيين اعداء العرب ، وعلى بعض المستشرقين ممن تعصبوا على العرب والمسلمين وضمنوا كتبهم آراء طائشة ظلموا بها المدنية الاسلامية وتاريخها المجيد .

ومما يسر له معالجة ادوائنا الاجتماعية والتعليمية رئاسته للمجمع العلمي العربي سنين عديدة ، وتقلده منصب وزير المعارف في سورية بضع مرات .

وهو من الادباء السوريين الاول الذين رحلوا الى مصر في اوائل هذا القرن ، واتصلوا بادبائها ، وحضروا مجالس الامام الشيخ محمد عبده ، وكتبوا في بعض الجرائد المصرية « كالرائد المصري » و « المؤيد » و « الظاهر » وغيرها . وقد اصدر في القاهرة مجلة « المقتبس » الشهرية فعاشت فيها ثلاث سنين . ثم نقلها الى دمشق سنة ١٩٠٨ بعد الانقلاب العثماني وسقوط السلطان عبد الحميد . فلبثت تصدر فيها خمس سنين . وكانت هذه المجلة في الشام فريدة فيما تضمنت من بحوث في الادب والاجتماع والمخطوطات العربية وتاريخ العرب والمسلمين . ولا شك ان الفقيد كان بعد استاذه الشيخ طاهر الجزائري راس الباحثين في هذه العلوم في نهضة الشام الحديثة .

وكان له جلد عجيب على التنقير عن تراثنا الادبي القديم . وتيسر له ان يرحل غير مرة للتفتيش عن نفائس دور الكتب المشهورة في القاهرة والقدس وباريس وبرلين ومدريد والاسكريكال وغيرها . كما تيسر له ان يتصل بعدد كبير من المستشرقين وان يذاكرهم ويراسلهم ويجادلهم في امور تتعلق بالحضارة الاسلامية وبالقدامى من رجالات العرب والمسلمين .

وفي دمشق كانت داره ندوة الادباء والمتأدبين . وكذلك غرفته في المجمع العلمي العربي فلكم اجتمعنا فيها نحن اعضاء ذلك المجمع نتذاكر في المحاضرات التي سنلقيها في ردهته او نتناقش في موضوعات لغتنا العربية وموضوعات ادبها في القديم والحديث .

ولكم استقبلنا في تلك الحجرة من علماء وادباء واساتيذ ومستشرقين ممن يزورون دمشق ولا يغادرونها ما لم يعرجوا على مجمعها العلمي العربي .

وكانت بحوث الاستاذ في مجلة ذلك المجمع متلاحقة حتى كاد يكون له في كل عدد من اعدادها بحث في الادب او التاريخ او الاجتماع .

واذا ذكر الشيوخ الذين لم تحل الشيخوخة دون مثابرتهم على النشاط العلمي ، جاء الفقيد في طلائع هؤلاء الشيوخ المجدين .

ففي بضع السنوات الاخيرة من حياته صنف كتاب « غوطة دمشق » وكتاب « كنوز الاجداد » وحقق ونشر سيرة « احمد بن طولون » للبلوى « والمستجاد من فعلات الاجواد » لابي علي المحسن التنوخي و « تاريخ حكماء الاسلام » لظهير الدين البيهقي وكتاب « الاشربة » لابن قتيبة . وكتاب « البيزرة » لبازيار العزيز بالله الفاطمي وهو آخر كتاب نشره .

ولا شك في ان كتاب « خطط الشام » المطبوع سنة ١٩٢٥ م بدمشق في ستة اجزاء هو أجل كتب الاستاذ شانا واغزرها فائدة . وقد ذكر لي مرة انه لم يبق له في الحياة الا امنية واحدة هي ان يتاح له طبع هذا الكتاب طبعة ثانية منقحة . ولكن هيهات امل الاستاذ ، فقد حالت الاقدار دون تحقيقه .

ومؤلفات الفقيد كثيرة على ما هو معروف، ويكفي ان اذكر منها ثلاثة كتب طبعتها له لجنة التاليف والترجمة والنشر في القاهرة : فالاول كتاب « الاسلام والحضارة العربية » وهو في جزئين تكلم فيهما على العلوم والادارة والسياسة في الدول الاسلامية ودافع فيهما عن مدنية العرب والمسلمين اصدق دفاع .

والثاني كتاب « امراء البيان » وهو ايضا في جزءين ترجم فيهما لعشرة من ائمة البيان العربي وهم عبد الحميد الكاتب وابن المقفع وسهل بن هارون وعمرو بن مسعدة والصولي واحمد بن يوسف الكاتب والزيات والجاحظ وابو حيان التوحيدي وابن العميد . قال الاستاذ المصنف : « هؤلاء هم العشرة المبشرة في عصر العرب الزاهر يوم اضحى اللسان العربي لغة حضارة وعلم وكان في القرن الاول لغة دين وادب . »

والكتاب الثالث هو كتاب « رسائل البلغاء » نشر فيه رسائل لعبد الحميد الكاتب « والادب الصغير والادب الكبير » لابن المقفع وكتاب « العرب او الرد على الشعوبية » لابن قتيبة « وملقى السبيل » لابي العلاء « والرسالة العذراء » لابن المدبر وغيرها من الرسائل دبجتها براعة عدد من رجال الادب الرفيع في العصور الماضية .

وكان الاستاذ من كتاب العربية المبرزين في هذا العصر فقد امتاز باسلوب سهل رشيق ، وبيان ناصع مشرق . وقليل هم الكتاب الذين يستطيعون ان يجولوا بمثل قلمه في الموضوعات المتنوعة التي تضمنتها مصنفاته ومحاضراته العديدة .

لقد قضى الاستاذ ، كما قلت ، نصف قرن من الزمن حاثا شباب الشام على العلم ، باحثا عن تراث الاجداد الادبي ، مدافعا عن المدنية العربية والاسلامية ، داعيا الى الجمع بين الثقافة العربية والثقافة الغربية .

ولئن شئتم ان احل اليوم محله فليس من السهل على ان املأ فراغا حصل بوفاة مثل هذا الاديب الكبير .

فانا لست سوى نقار بسيط ، ينقر في دمشق منذ نحو ثلاثين سنة عن مصطلحات علمية في علوم الزراعة والمواليد ، فيكبو ويقوم ، ويخطىء ويصيب ، ولا مرجع له الا كتب الاجداد وما فيها من الفاظ علمية قديمة ، ولا هادي له الا ما اقره مجمعكم الموقر من قرارات حكيمة في قياسية بعض الاوزان العربية .

ولعل المتادبين الذين لم يعنوا بوضع الالفاظ العلمية او تحقيقها لا يقدرون هذه القرارات حق قدرها . اما الذين يضعون المصطلحات العربية من دون ان يكون لهم اختصاص بفقه اللغة فقد وجدوها — أي القرارات — منارة هدتهم الى السبيل القويم ، وجنبتهم التيه في بيداء كتب اللغة القديمة .

واسمحوا لي بعد هذا بان اذكر لكم في جمل قليلة مبلغ الفائدة التي افدتها من تلك القرارات عندما كنت اصنف معجمي المطبوع سنة ١٩٤٣ بدمشق . والهدف الوحيد الذي ارمي اليه انما هو الافصاح عن فضل المجمع على واضعي المصطلحات العربية وعلى نقلة العلوم العصرية .

فمما اقره المجمع : « اشتق العرب كثيرا من اسماء الاعيان . والمجمع يجيز هذا الاشتقاق — للضرورة — في لغة العلوم . »

واستنادا على هذا القرار ، الفيت الضرورة تقضي بوضع اسماء لبحوث زراعية اصبح اليوم كل بحث منها علما قائما براسه مثل زهارة Floriculture من زهر وهي زراعة نباتات الزهر ونحالة Apiculture من نحل وهي تربية النحل وحراجة Sylviculture من حرجة وهي زراعة الاحراج الى غير ذلك من المشتقات المماثلة كالبستنة من بستان والبرعمة من برعم الخ .

ومما اقره : « تصاغ مفعلة قياسا من اسماء الاعيان الثلاثية » الاصول للمكان الذي تكثر فيه الاعيان سواء اكانت من الحيوان ام من النبات ام من الجماد .

وعملا بهذا القرار صغت على وزن مفعلة عددا كبيرا من الالفاظ مثل ملبنة Laiterie ومزبدة Beurrerie ومقشدة Crêmerie ومقطنة Cotonnerie وموردة Rosaire ومرزة Rizière ومقصبة Rosolière ومفرسة Haras. ومطيرة Volière ومئاتة .Mûraie وهلم جرا .

ومن قراراته : « يصاغ (فعال) قياسا للدلالة على الاحتراف او ملازمة الشيء . فاذا خيف لبس بين صانع الشيء وملازمه كانت صيغة فعال للصانع ، وكان النسب بالياء لغيره فيقال زجاج لصانع الزجاج ، وزجاجي لبائعه .

وهذا القرار ايضا سهل عملي فقلت مثلا : زهار لبستاني الزهر . وزهري لبائعه وكلاهما بالفرنسية Fleuriste وقلت كرام لغارس الكروم Viticulteur ووراد لزارع الورد Rosiériste الى غير ذلك من الكلم .

وهنالك القرار الذي يجيز الصياغة قياسا من الفعل الثلاثي على وزن مفعل ومفعلة ومفعال للدلالة على الآلة التي يصالح بها الشيء . فلقد وضعت بناء على هذا القرار اسماء عديدة لآلات وادوات زراعية حديثة كالمبذر Semoir والمحصد Moissonneuse والمدرس Batteuse والمرخمة او المحضنة Couveuse والمحشة Faucheuse دع الاسماء التي هي على وزن اسم الفاعل ومبالغته كالناصية Releveur وكالجرارة Tracteur الخ .

وكذلك القرار الذي يجيز لنا صياغة مصادر على وزن فعالة من ابواب الثلاثي للدلالة على الحرفة او شبهها. فلقد رجعت اليه في مثل قولي غراسة من غرس فجعلتها امام كلمة Arboriculture وان لم ترد الغراسة في المعجمات في مادة غرس بل وردت عرضا في مادة خرج من التاج واللسان . ومثل رسامة وضعها غيري لحرفة الرسم Dessin

ثم قياسية صنع المصادر الصناعية بان يزاد على الكلمة ياء النسب والتاء . افلم ييسر لنا هذا القرار مثل قولنا في العلوم قلوية وحمضية وعطرية وسمية وخشبية ملما قال القدماء مائية وكيفية وكمية وعروبية وفروسية وغير ذلك .

وكذلك قياسية صيغة فعال للمرض مصدرا من فعل اللازم المفتوح العين ، فقد استفاد اساتيذ الطب من هذا القرار . ووجدتهم لم يكتفوا به بل اشتقوا من اسماء الاعيان ايضا كلمات على هذا الوزن مثل وراك Coxalgie من الورك . وعصاب Névralgie من العصب .

واجاز المجمع التعريب عند الضرورة فيسر لي تعريب عدد غير قليل من اسماء النبات والحيوان والمعادن . وهي اعيان لم تعرفها العرب ، وكلها لا بد من تعريب اسمائها لانها اما منسوبة الى اعلام اي الى علماء او ملوك او حكام او اقاليم او مدن او احد آلهة القدماء ، واما مقتبسة من احدى اللغات كلغات هنود امريكة او غيرهم من الاقوام . مثال ذلك دهلية Dahlia فهي زهرة نسبوها الى نباتي سويدي اسمه دهل . ودروينية Darwinia فهي جنبة للتزين سميت باسم دروين العالم المواليدي المشهور . وكاكاو او كاكاوو فهي من لغة شعب الازتيك القديم في مكسكة . وكذلك الشوكولاطة الخ .

ونحن لا نجيز لانفسنا التعريب الا عند الضرورة ، اي اذا لم نجد في كتبنا القديمة كلمة عربية تقابل الكلمة الاعجمية ، ثم اذا لم نستطع ايجاد كلمة عربية جديدة سائغة بوسائل الاشتقاق والمجاز . ولكنه لا مفر لنا من تعريب مثل ما ذكرت من اسماء .

وقد اجاز المجمع النحت عندما تلجىء اليه الضرورة العلمية ، ولكنه سار فيه بتؤدة يحمد عليها . ولم اجد في اجزاء مجلته السبعة الا بضع كلمات منحوتة . وانا لم انحت في معجمي سوى كلمات تعد على الاصابع منها كلمة « لبارز » مثلا فهي من كلمتي لبنان وارز . وهي تطلق على شجر للتزيين غير ارز لبنان واسمه العلمي Libocedrus وهذا الاسم العلمي منحوت من Liban و Cedrus اي لبنان وارز فاضطررت مرغما ان اسميه « لبارزا » .

والذوق له شان كبير في موضوع النحت . وكذلك سهولة الفهم . وكثيرا ما يكون استعمال كلمتين عربيتين اصلح وادعي الى الفهم من استعمال كلمة واحدة منحوتة يمجها الذوق ويستغلق فيها المعنى . فالطالب الاوروبي يحفظ الاصول والصدور والكواسع اليونانية في الكلمات العلمية الاعجمية . ولذلك اذا قلنا له مثلا : هذه الحشرة هي من رتبة الـ Orthoptères او الـ Névroptères فهو يدرك معنى هاتين الكلمتين بلا مشقة ، وكذلك اذا قلنا للطالب العربي ان الحشرة المذكورة هي من رتبة مستقيمات الاجنحة ، او من رتبة عصبيات الاجنحة فهو ايضا يدرك المعنى من دون ان يكد ذهنه . ولكننا اذا فاجأنا طالبنا العربي بمثل قولنا مسجنيات او عصجنيات فهو سينظر الينا مشدوها فاقد الفهم . واذا رفقنا به وتركنا كلمة جناح على حالها ، قائلين مسجناحيات وعصجناحيات فهو ايضا لن يفهم معناهما ما لم نقل له انهما منحوتتان من كذا وكذا . ومتى احتاج الامر الى بيان اصول المنحوتات العلمية ،

ضاعت فوائد النحت .

ولكل لغة قوالبها واساليبها ، والعربية لغة اختزال ، ولا يضيرها التعبير عن معنى من المعاني العلمية باكثر من كلمة ، بل الذي يشوهها انما هو ان يضاف اليها الوف من المنحوتات الثقيلة الغامضة التي لا لزوم لها البتة .

والقائلون بالنحت ، لهم اعتراض معروف وهو انه من السهل النسب الى الكلمة الواحدة المنحوتة خلافا للنسب الى المركب الاضافي . ولكن ماذا يجبرنا على ترجمة النسبة بالنسبة . فالترجمة لا تكون دائما ترجمة كلمة بكلمة ولا صيغة بصيغة ، بل تقوم على حسن فهم المعنى وافراغه في قالب عربي مقبول .

وقد اجاز المجمع استعمال المولد من المصطلحات العلمية والصناعية وغيرها التي جروا فيها على اقيسة كلام العرب من مجاز او اشتقاق او نحوهما . وفي هذا القرار مجال لاستعمال عدد كبير من الالفاظ العلمية التي لم تتضمنها معجماتنا الاصلية . ولكنها وردت في كتب علمية قديمة مشهورة . وفوائد هذا القرار واضحة .

ويطول بي نفس الكلام اذا مارحت ابحث في سائر قرارات المجمع العلمية ، كترجمة بمعنى الزوائد اليونانية من صدور او كواسع ، وكضبط الاعلام الجغرافية ، وكتابة بعض الحروف الاجنبية بالحروف العربية ونطقها ، وكتابة الاعلام اليونانية واللاتينية بحروف عربية .

وهيهات ان يتسع المجال للكلام على تلك البحوث اللغوية الجليلة المبثوثة في مجلدات المجلة ، والتي بلغت الذروة في دقة التحقيق العلمي . ولا يمكنني ايضا الكلام على المصطلحات العلمية التي وضعها المجمع او اقرها ، فعدها العارفون اصلح مصطلحات عربية لما يقابلها من الالفاظ العلمية الاعجمية .

ولا تظنوا ، ايها السادة ، ان مصطلحات المجمع هذه لبثت مدفونة في صفحات المجلة . فالحقيقة انه ما من استاذ نبيه يؤلف كتابا مدرسيا الا ويرجع الى مجلة المجمع في التفتيش عن الفاظ عربية في علمه . ولكم سألني الاساتيذ والمدرسون وغيرهم في الشام عن المجلة وعن السبيل الى تداركها ، لانهم لا يكتفون بمراجعتها في خزانة المجمع العلمي العربي او خزانة الجامعة السورية ، بل يتوق كل منهم الى جعلها في خزانتها الخاصة .

ويهم كل عربي حريص على سلامة لغته ، ان يكون مجمع اللغة العربية في مصر مرجعا تؤول اليه جهود الافراد وجهود الجماعات التي تعني بوضع المصطلحات العلمية في جميع البلاد العربية . فلقد اصبح اختلاف هذه المصطلحات داء من ادواء لغتنا المضربة . وهذا الداء ينمو ويستشري كلما اتسعت الثقافة في اقطارنا ، وازداد فيها عدد نقلة العلوم الحديثة الى لساننا ، او عدد المؤلفين في تلك العلوم . ففي كل قطر توضع مصطلحات جديدة لا يدري علماء الاقطار الاخرى عنها شيئا . وتكاد الصلات تكون مقطوعة بين اساتيذ الجامعات وكلياتها في مصر والعراق والشام . واذا تهادوا مؤلفاتهم ، تعصب كل استاذ للمصطلحات التي وضعها او التي الف استعمالها . وربما راح يزري بمصطلحات زملائه . وربما تطاعن الاساتيذ في الصحف بهوادة او بلا هوادة . حتى في البلد الواحد .

ونروح نفتش عن حكم يكون في حكمه فصل الخطاب ، فلا نجد عندنا الا هذا المجمع الذي له مكانته المرموقة في الاقطار العربية كافة . فهو الاداة الوحيدة التي تستطيع ان تصنف معجما اعجميا عربيا لمصطلحات العلوم والآداب والفلسفة والمخترعات الحديثة ، وان تفرضه على حكومات الاقطار العربية وعلى ادبائها وعلمائها . والسبيل الى ذلك في نظري اشراك الدول العربية في نفقات هذا العمل الكبير ، بقرار يتخذ في مجلس جامعة هذه الدول واشراك الاثبات من الاختصاصيين بالمصطلحات في مصر وفي غير مصر في وضع قوائم او معاجم صغيرة بمصطلحات علومهم . وعندما يجتمع كل ذلك في هذا المجمع تمحص فيه المصطلحات ويصنف المعجم ويطبع ويذاع بثمن بخس .

واعتقد ان هذا العمل لا يستغرق اكثر من بضع سنوات ، ولاسيما اذا عوض كل عامل في المعجم من اتعابه تعويضا عادلا .

واكاد اجزم انه ما من دولة عربية تحجم عن دفع ما يصيبها من نفقات كبيرة كانت او صغيرة . وتكون حكومات تلك الدول ميالة الى فرض المعجم ومصطلحاته على وزاراتها ومدارسها ومؤسساتها العامة لانها تعد نفسها مشتركة ماليا وادبيا في تصنيفه .

وبذلك تتوحد المصطلحات في اقطارنا العربية ويكون الفضل الاكبر لمجمعكم الموقر في انجاز هذا العمل الحيوي الكبير في مدة وجيزة .

واذا وسعتني رحابة صدور الرفاق الكرام في المجمع افصحت لهم في جلسة خاصة ، وبشيء من الاسهاب ، عن رايي في موضوع توحيد المصطلحات العلمية في بلادنا العربية .

وبعد ، ما هي يا سادتي مغبة تطويقكم لعنقي بهذا الطوق الذهبي الجميل من المنة والاحسان ؟ لقد كنت في دمشق اتلمس طريقي قاضع الصحيح والمغلوط والراجح والمرجوح من المصطلحات . اما بعد اليوم فقد يسرتم لي عرض ما اضع او احقق منها على علماء اثبات بحاثين في كتب العلوم وكتب اللغة يرون بالعين المجردة ما لا يراه غيرهم بالمجهر .

وقصاراي كلما التبست علي الامور ، ان اميل على جوانبكم ميلان الشاعر على جوانب ابيه .

قدرني الله على ان اكون عند ظنكم بي ولا زالت مصر العزيزة راسا للعالم العربي ، ومعقلا منيعا للغة القرآن .

مصطفى الشهابي

على الطريق القديم الى اصفهان

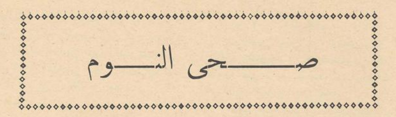
✳

أتينـــا وقد سكر الساقيان   وقافلتي أثقلتهـــا الدنـــان
نخوض في لجـة من نجوم   ونغرق في موجة من أغـــان
اذا أغمضت مقلتا عـــازف   أفاق على لحنه عازفـــان
هو الليل ...
والرمل ...
والمنشدون   أغانيهم يرتديهـــا الزمـــان
بهـــا من فم الحب أغرودة   ومن شفة الكأس أغرودتـــان
تمر بها الريـــح عبر البراري   ويهمسها الورد والارجـــوان
هو الليل ...
والهـودج المستريـــح   وستر بدت خلفـه مقلتـــان
تحنـــان للحب والراقصيـن   وللنور والاهــل تستشرفـــان
هنـالك حيث يسيل العبير   جداول ينشرهـــا الاقحوان
وتسبح فوق البيوت النجوم   هنـا ! ...
تلمس الشهب والفرقدان
وحيث شذى الورد فوق الجبال   ومـلء المدينة ، كانـت فكان
هنالك من كل ستر أغـــان   ومن كل نافذة ناهـــدان
هنالـك بيتي ، ومـن حولـه   قبـاب ...
وشعر ...
وخمارتان
هو الليل ، يفتق عنه الصبـــاح   نقيـا ... فيستيقظ الساقيـان

***

دع الهودج البض يطوي الطريق   قليـلا ...
فقد ظهرت اصفهان !

العراق ـ البصرة   **سعدي يوسف**



صحى النوم

بقلم بدر نشات

من رابطة النهر الخالد



طلبت كوبا من الشاي وجلست خلف الشاويش عطيه في حلقة المتفرجين حول المنضدة اراقب اللعب ... كان وجهه النحاسي منقبضا واوراق اللعب مختفية بين يديه وهو يقربها من عينيه ويكشف عن اطرافها بحذر ثم ينظر الى الرجل البدين ذي الطاقية البيضاء الذي يجلس في الناحية الاخرى من المنضدة ، ويعود الى التمعن في اوراقه من جديد ...

كانوا خمسة لاعبين يخيم عليهم صمت مقبض وتربص خطير ، وحين تناولت كوب الشاي وسحبت منه جرعتين اخذ كل لاعب يكشف اوراقه على المنضدة وضرب عطيه يده في جيبه بحركة عصبية ووضع امام الرجل البدين بضعة قروش وتبعه في ذلك بقية اللاعبين وقد بداوا يتحدثون .

مد احدهم اصابعه الى المنضدة ومضى يفحص اوراق الرجل البدين ... وصاح آخر ساخطا :

ـ حظ ...

ثم التقط اوراقه ومضى يعرضها على من يجاوره من المتفرجين ... ونظر في وجهي وقال لي متعجبا :

ـ فول آس يا استاذ .. تصور .. يركب معاه كاريه رواه واحنا خمسة .. اتفوه .. واخرج من فمه صوتا كصوت البصق وانا اهز له راسي في دهشة وكانني افهم هذه اللعبة ..

وحين بدأ الورق يوزع عليهم من جديد ران عليهم الصمت وعادوا الى القلق والتربص .

كان المقهى صغيرا مزدحما بالعمال والجنود ، والكلوب المتدلي من السقف يوش في نغم مستمر وضوءه يلهث على الجدران الداكنة ، واحتراق الدخان المعسل يختلط برائحة العرق وانفاس الموجودين وثمة راديو صغير يضج بموسيقى عالية .

الظلام في الخارج شديد وعلى الناحية الاخرى من الطريق صف طويل بائس من عربات الحنطور تبدو كالاشباح وجيادها الضامرة تربض في سكون وتحني رؤوسها المتعبة الى الارض وتغوص حوافرها فيما تجمع تحتها من مياه الامطار والبول .

كانت ليلة شتائية كئيبة ... الهواء يصفر في الخارج .. والشارع يلمع .. والرطوبة تغشى كل مكان.. وفي داخل المقهى يشيع دفء شاحب فقير وتسود رائحة كريهة نفاذة .. وبين صخب اللاعبين وضجة المذياع وسحب الدخان .. كان السباب يتخابط والضحكات تتشابك وعطيه منهمك بكليته في اللعب ، تزداد خسارته دورا بعد دور ، ويلمع على وجهه القلق ويشد الهواء بانفه الافطس مرات متلاحقة ويلف وجهه فجاة لتنفجر منه عطسة شديدة ثم يعود الى التمعن في اوراقه ..

لم اكن ادري الى متى يمتد هذا اللعب .. واخذت احس بالنفور من هذه الجلسة المقيتة وابتدات اتضايق من عيني الرجل البدين ونظراته البراقة الغامضة وامل النظر الى الجرح الطويل الملتحم في عنق الرجل الذي يجاورني.

ازداد عدد المتفرجين ، ووقف احدهم خلفي مباشرة مستندا بجسده الى حافة المقعد وانفاسه المعبقة بالدخان تلفح وجهي وتملأ صدري ...

ورايت ان اتحدث مع عطيه فيما قدمت من اجله فقد كان علي ان اصحو في السادسة صباحا لاحضر امتحان الدور الثاني ولكن الخجل كان يعوقني ولم اكن ادري كيف ابدا الحديث وكيف اقول لعطيه ـ وسط هذا الجمع ـ انني قدمت لانام عنده الليلة ـ ولست اعرف مكانا آخر انام فيه ، وانني مرهق من السفر متعب اشتهي النوم ..

كان الموضوع محرجا مخجلا .. وعطيه منهمك في اللعب منشغل بخسارته وانا متعب اتثاءب ... وباكر امتحان الدور الثاني .. والساعة قد تعدت الحادية عشرة مساء ..

لكن كيف ابدأ الحديث .. وماذا اقول ..

ولم يكن عطيه في حالة طبيعية فقد كان منقبض الوجه ـ ثائرا وكان لاستقباله الفاتر حين دخلت عليه المقهى اثر كبير في ترددي وما انا فيه من خجل واضطراب فقد رفع وجهه عن الورق لما رآني ، وقال في جمود :

ـ اهلا ... اقعد ...

وعاد يلعب .. ومضت ساعة لم يحدثني خلالها .. ولم ينظر الي .. فكيف افتح له الموضوع .. والوقت يمر .. فكرت ان اترك المقهى واغادر هذا المكان الكئيب .. ولكن الى اين اتجه واين انام .. ليست معي سوى عشرة قروش وتذكرة العودة بالقطار وباكر امتحاني ، وابي لم يعطني نقودا كافية لانزل في احدى الفنادق ، وطلب مني ان ابيت عند عطيه هذه الليلة فهو صديق الاسرة ..

تجرات اخيرا وملت على عطيه وقلت بصوت خافت .

ـ انا جيت في قطر الساعة تسعة وبكره الامتحان .

واعتقدت ان عطيه سوف يدرك ما اعنيه ، ولكنه اقترب مني وقال في ضيق :

ـ اه ...

واندفع الدم ساخنا الى وجهي وهرول في جسدي اضطراب رذيل .. قلت متلعثما :

ـ الامتحان ... بكره

فاعتدل عطيه في مقعده وعاد يفحص اوراق اللعب وهو يزوم ... أووم ...

ومضت برهة ثقيلة ، قبل ان يلتفت الي ويقول كانما يود التخلص مني :

ـ انت مش تعرف البيت ... ما تسبقني يا اخي .

قمت منفعلا ساخطا وقد تملكتني رغبة في الفرار .. وبعد لحظات وجدتني في الهواء الرطب والسكون الشامل .. اسير في الظلام ..

لم افكر في عطيه ، ولا في منزله ، لم افكر كيف امضي الليلة واين انام ، ولعلي لم اكن افكر على الاطلاق ـ ومضيت اسير طليقا منتشيا لتخلصي من قيود تلك الجلسة المقيتة واغلال الخجل والحرج .

كان الهواء باردا منعشا ، والطرق مظلمة هامدة وانا انقل النظر بين انوار المصابيح البكاء وابواب المحال المغلقة .. كان كل شيء مظلما كئيبا .. والهواء يزوبع ببعض الاوراق ويجرها على الاسفلت اللامع .

لمحت عن بعد شبحين عند مفترق الطرق يتحدثان .. عرفت منهما حسن .. فاسرعت السير نشطا مسرورا ، ولما رآني حسن اقبل يحتضنني مهللا صائحا .. فابهجني استقباله وهزتني حرارة كلماته ، الا انني افقت من نشوتي حين قال لي فجاة :

ـ انت كنت رايح على فين كده ؟

فوجمت قليلا واجبت دون تفكير :

ـ آه .. كنت بدور على لوكانده ...

وصمت حسن ... وشعرت ان اكذوبتي جاءت سافرة مفضوحة .. فابتسمت في تكلف .. وطال بيننا صمت مقلق لم يكن يقطعه سوى وقع اقدامنا وهي تنبح في ارجاء الشارع المقفر الهامد .

وفي نهاية الطريق افترق ثالثنا وبقيت مع حسن نتابع السير ... كان الى جواري يسير مطرقا واجما واكاد احس بما يختلج في صدره من مشاعر وما يدور براسه من افكار ، اخال انها حول استضافتي وتلك الظروف السيئة التي ساقتني الى لقائه في تلك الساعة المتاخرة من الليل .. وربما كان يفكر في طريقة تمكنه من الافلات .. الا ان حسن توقف فجاة امام بيت مظلم ورمقني بنظرة مضطربة وقال في اقتضاب .

ـ تفضل .. دا بيتنا .. تعالى نام معايا الليلة دي ..

لم اصدق ما نقلته اذناي ، فابتسمت في خجل وهممت ببعض الكلمات الملعثمة الخافتة وكان حسن قد خطى الى الباب فتبعته .. كان مدخل البيت بارد الجوف حالك الظلمة ، فاخذت اتحسس موقع اقدامي على الدرج الخشبي وانا اصعد خلف حسن .

وصل حسن الى باب الشقة وطرقه في هدوء ...

ولا انسى وجه الام حين فتحت له الباب كانت عجوزا قصيرة القامة ضامرة الجسد تحمل سراجا في يدها وضوءه الاصفر يتراقص على وجهها المجعد .

لم تشاهدني الام اذ كنت في أسفل الدرج وظنت ان ولدها بمفرده كالعادة فصرخت فيه قائلة :

ـ كنت فين لدلوقت .. ما تخلي عندك شوية دم .. مانتش عارف اني عياني مقدرش اقوم افتح لك في البرد ده .. رايح تعقل امتى ويتوب عليك ربنا .. ما تسيبك باه من اللي متلم عليهم .. سيبك باه من اللي بيسهروك لنص الليل ومضيعين فلوسك .. انجر ادخل .

ونظر حسن حواليه ، ومع انني لم اكن اشاهد وجهه في الظلام الا انني احسست بما هو فيه من خجل واضطراب .. سمعته يردد في خشونة :

ـ وسعي السكة ...

ثم التفت الي وقال ببساطة مصنوعة :

ـ اتفضل .. اطلع ..

واظن ان الام قد نظرت الي قبل ان تختفي خلف الباب اذ شعرت بالدماء تعدو ساخنة في عروقي والعرق الرطب يتندى على جبهتي .. صعدت الدرجات الباقية وسرت خلف حسن في رواق خرب تفوح منه رائحة عفنة الى غرفة صغيرة معتمة لا تحوي من الفراش سوى سرير عتيق ومنضدة قذرة وصوان عار من الطلاء واريكة تقع في أحد الاركان ...

وابتدات الام تصعدني بنظرات عميقة جافة ، وتكلف

حسن المرح وهو يخلع ثيابه وأخذ يحادثني في مواضيع شتى وانا انصت اليه واجما وارد عليه في اقتضاب ، والام تلتهمني بنظراتها البكماء وتزم شفتيها في عبوس فبقيت مضطربا اتحاشى النظر اليها وقد لازمني شعور فأر صغير يطارده قط ماكر ...

قدم الي حسن جلبابا قذرا تفوح منه رائحة الطعام والعرق وطلب الي ان ارتديه فخفت ان يكون جلبابه الوحيد ورفضت في اصرار وانا أؤكد له اعتيادي النوم بالثياب الداخلية . وصدق حدسي اذ ارتداه حسن . وحين اضطجعت على السرير الى جواره لم أكن اصدق ان حسن ذلك الشاب الانيق يتخذ مثل هذه الغرفة سكنا له ، كنت اعلم انه يعمل كاتبا عند احد المحامين بالبلدة وانه يعيش في حدود دخله الضيق ، ولكنني لم اتوقع ان يكون هذا مأواه ، وهذه امه ، وتلك حالة بيته ...

كان الغطاء قطعة من القماش لا لون لها جمع حسن طرفها تحت جسده وترك لي ما يكاد يستر فخذي العاريتين بينما كانت الوسادة تحت اصداغنا متسخة بلون الطمى اختلط بها العرق والتراب وشحم الدهان الرخيص الذي يصفف به حسن شعره .. وعلى الاريكة اختفت الام تحت غطاء داكن كبير ولم يعد يظهر منها غير وجهها الساكن الباهت وجدائل شعرها الموشاة بالشيب وصدرها الضامر وهو يعلو بالغطاء وينخفض ..

وجال بخاطري وانا انظر اليها انني ربما اشغل مكانها الان على السرير ، وانها ربما اعتادت ان تنام الى جوار ابنها . وبدت لي الاريكة غير معدة للنوم فلم تكن مفروشة بحاشية من القطن كما تفرش الارائك بل كان خشبها مغطى بقطعة من قماش سميك لعلها بطانية او سجادة قديمة .

تألمت لذلك كثيرا واكبرت في الام هذه التضحية وبقيت من وقت لآخر انظر اليها واحس انها غير مستريحة في نومتها .. وان صلابة الخشب تؤلم جسدها .. وانها ارقة مستيقظة وان كانت مغمضة العينين ..

كنت يقظا والكل في سبات ، فاخذت أجيل النظر في ارجاء الحجرة التي القى فيها السراج لهاثه الاصفر وربض الظلام باركانها .. وكان الحبل المتراخي الممتد من اعلى الباب الى الصوان يحمل ثيابا مغسولة يلقي على الحائط ظلالا قاتمة ويرسم عليه اشباحا مزعجة كانت تتجسد في عيني كخيالات اجسام مشنوقة معلقة ... تهتز في وحشة وكآبة ... يرين عليها صمت الموت ورهبة الاظلام .

بينما السكون الناعس يزعجه صوت رتيب يتعالى من الرواق المظلم خارج الغرفة لانسكاب نقط من المياه في وعاء فارغ كان دويها المنتظم يتعاقب في الصمت الموحش، ولا ادري ما طرا علي ودفعني الى تتبع تلك النقط المتعاقبة بالاحصاء فاخذت اعدها ساهما ...

تقلب حسن في فراشه واولاني ظهره جاذبا بين فخذيه ما كان يسترني من غطاء فصرت عاريا واحسست للتو بالبرودة تسري فوق جلدي والهواء القارس يصطدم بساقي العاريتين ، وحاولت ان اجذب الغطاء برفق ولكنه لم يطاوعني فقد تجمع ملتويا بين رجلي حسن وتحت جسده، ولم اكن استطيع ان اجذبه بشدة حتى لا يستيقظ .

كانت البرودة قاسية .. فاخذت اخفي ما تعرى من جسدي بذراعي وجمعت نفسي متقلصا حتى لامست ركبتي وبت ساهدا ارتعش ، لم يجل بخاطري ما ينتظرني باكر من امتحان ، اذ استحوذت الرغبة في الدفء والنوم على كل افكاري، بينما صار تساقط نقط المياه في الاناء الفارغ مصدرا لضيقي وتبرمي ، وابتدات عيناي تنصبان على الحائط ولا تفارقان الاشباح التي ترسمها الظلال ... وابى خيالي العقيم الا ان يفتن في استخراج مناظر متباينة وان يختلق اجواء غريبة من تلك الظلال الواجمة .

وبين الحين والحين ... كان صياح الديكة يثقب الصمت الجاثم قريبا واضحا تارة .. بعيدا نائيا اخرى .. منبئا عن مولد فجر قريب ... كنت متعبا منهوكا فحاولت مرارا ان اغمض عيني واوهم نفسي بالنوم ولكن تساقط نقط المياه في الاناء الفارغ كان يربطني باليقظة ويدفعني الى فتح عيني ومراقبة الظلال من جديد ..

لاحت لي الظلال هذه المرة كطريق ممتد طويل تجمد فيه النسيم خمولا ورقد عليه الضباب بينما الاشجار العتيقة تلهث في بلادة وصف طويل من الاطفال والنساء الممزقي الثياب يسرن في تلكوء ويرتمين فوق الارض في اعياء قاتل وتعب شديد .. الاطفال يبكون في صمت اليم والنساء يجهشن في صوت مكتوم .. ثم ها هو ابي قادم من بعيد مهيب الطلعة صارم الوجه يزعق في وجهي ... كنت فين .. ميت مرة اقولك ما تتأخرش بالليل .

يا خايب .. يا ساقط .. يا ساقط ...

وام حسن بثيابها السوداء منكمشة بجوار جدار مهدم تحمل طعاما بيدها وتأكل في شراهة وقد ذكرتني بانثى الغول الخرافية التي كثيرا ما سمعت عنها القصص من جدي وانا صغير .. كنت اتضور جوعا فمددت لها يدي طالبا لقمة ورجوتها في مذلة ولكنها رفضت وصرخت في وجهي واوشكت ان تعض يدي ...

وهنا شعرت بمن يهزني بشدة ... ففتحت عيني كالحالم ، وتعرفت على حسن بصعوبة لما جاءني صوته غائرا يقول من بعيد .

ـ صحيَّ النوم ... الساعة بقت ستة ونص ...

كنت غائبا عن الوعي ... ولم ادر ان كنت قد قلت له شيئا ام لم اجبه ، فقد وجدتني في الطريق مرتديا حلتي .. والصباح رطب منير .. اتحامل على قدمي .. تائها كالمحموم .. متعبا اريد النوم .

بدر نشأت

القاهرة

ذات العيون الخضر

✷

ذات العيـــون الخضر ، قـــد بسم الربيـــع
وتفتحت مقل الازاهر ، وانتشى الحمل الوديـــع
وانا.. وانت ، متيمان .. بصدرنـا قلب ولوع
طلـــع الربيـــع ، وهزَّ اوتار الهوى نيســـان
وباضلعـي خفق الصبـــــا النشـــوان
هـــل رف قلبـك مثـــل قلبي ، يا جميـــلة ؟
وهفت اليـــه مـــع الصباح الرطب انسام بليله
فأنـــا طربـت ، وعـــاد لي أرج الحيـــــــاة
الحب انعشنـــي وفجَّـر امنيـــــاتي ...
نغمـــا طريـــا ، في صـــداه أذبت ذاتـــي
عاد الربيع بموكب من اغنيـات القبـــرات
ايامـــه خضراء بلهــــــا الرحيـــق
وطيـــوره جذلانـــة ، في شدوهـــا لحن رقيق
الـــدفء أطربهـــــا وايقظهـــــا الشروق
ذات العيـــون الخضر ، والخـــد الرطيـب
في ثغرك الوردي يمتزج الرحيق مع الطيـــوب
وبنـــاظريـــك براعـــــم تتفتـــــق
في مقلتيـــــك ارى الحياة تصفـــــق
وأرى غدي ، وغد الرفاق ، كما نريد ونعشـــق
في مقلتيك الى الغد المخضل رف تشـــــوق
وتألـــق الامـــل النـــدي ، وشـــع سحر شيِّق
خلف الجفون تبش سوسنة ، ويبسم زنبـــق
يا فتنتي ، كل المفاتـــن في عيونـــك تزهـــر
عينـاك ، أهوى فيهما نبعا ، هنـــا في خافقي يتفجر
عينـــاك ينبوعـــان مـــن شـــوق وحسن
قـــد كحلت اجفانهن يد الجمال بكـــل فـــن
لولاهمـــــا ما كان يحلو في نواظري الربيـــع
أهواهمـــــا ، يا فتنتي ، أهواهمـــــا ما استطيع !

الرقة ـ سوريا ابراهيم الشعيب

بقلم هنري وداناتوماس

شعراء خالدون : الكسندر بوب

ترجمة يوسف عبد المسيح ثروة

°°°

كان بوب (١٦٨٨ – ١٧٧٤) يمثل من الانسان « جثته المجنونة القميئة » له ذراعا العنكبوت وساقاه . ناتيء الجسم من الامام والخلف ، الا ان الفلسفة التي حملها في راسه امتازت بأصالتها وسلامتها . ومما قاله « وآاسفاه علي فانا مريض الى هذا الحد . » ثم نظر الى اصدقائه الادباء الذين يحيون حياة صعبة ويشربون الخمر ما وسعهم الشرب بكل حرية ، فقال « واحسرتاه انهم اصحاء الى هذه الدرجة . » ، كان ساخرا لطيفا ، من غير فكاهة – اعني انه متهكم سخر من الناس من غير ان يضحك الا قليلا . لان الضحك ، كما يشير احدهم بحاجة الى قلب مليء بالدموع – في حين ان بوب لم يؤت غير راس مفعم بالآداب والاخلاق .

ومنذ طفولته كان طموحه يتحدد في ان يسطع في مجتمع لندن التقليدي كانه تحفته الرئيسية . ولكن يبدو ان شياطين القدر جميعا اصطفت لمهاجمته من يوم ولادته . ولد كسيحا فحال كساحه دون الاشتراك في معاليات اترابه المتيني البنية . ولما كان ابن واحد من عامة الناس ، انكرت عليه امتيازات لقب موروث . وقد حالت كاثوليكيته بينه وبين التدريب الجامعي والوظائف العامة . وعلى كل فان الطبيعة شاءت ان ترمي اليه بحجارة من ذهب ، حين امطرته برشاش مؤلم من الصخور ، ذلك بانه جاء الوجود وفيه عبقرية لقول الشعر ونظم القصيد .

عرف باتزانه ، ولم ينس النصيحة التي قدمت اليه في مستهل حياته . ومما جاء في تلك النصيحة « عندنا شعراء عظام ، يا الكسندر ، ولكن القليلين منهم مصيبون . كن بليغا انيقا في عبارتك ، ارفع موضوعات الحياة الشقية الى مصاف النجوم ، وانقل مقصورات لندن الى مرتفعات جبل اوليمبوس واجعل جمال الدوقات حديث الالهة . وعندئذ ستكون السلطان الاصيل لهذه المملكة البريطانية »

ومنذ الثانية عشرة من عمره وضع خطة منظمة من اجل الدراسة طوال حياته . هجم على المعرفة ، وخاصة الشعرية منها بنهم النمر . ففي الرابعة عشرة اكمل نظم الشعر الرفيع ، باسلوب القوافي الثنائية . وقد ابرز شهرة هذا الاسلوب ، قلم درايدن الملكي . فعد نفسه في الثامنة عشرة شاعرا ثابت الصيت ، وشرع في التردد الى مقهى ول حيث كان يجتمع ادباء ذلك اليوم . وفي الثالثة والعشرين نشر قصيدة محكمة الانجاز جلية الادراك ، عن قوانين النقد الادبي . فعد معظم النقاد هذه المؤلف طرفة من الطرف . ولكنهم في هذا لم يكونوا غير صدى الشاعر في مغالاته لنفسه . وقبل ان يحدث هذا بمدة ، اكتشف لنفسه شغلا شغله حياته . اي انه كرس وقته الفاضي لقراءة اشعاره . ومما لا شك فيه انه كان على يقين « من ان واحدا من ستين من الدجال الافاضل .. يسعه فهمه وادراكه » كان على ثقة بكونه اعظم عبقرية في البلاد . ومن اجل ذلك فقد عبر عن بالغ استهزائه بالعالم في سائر اجزائه ذلك بان جسمه الصغير ، المشوه ، المثير للعواطف ، كان يعاني من مرض غريب ، هو التطلع الابدي الى القوة المتمثلة في العقل . وهذا هو السلاح الذي امده بالحصانة ان كلبا لعوبا يسعه ان يرمي جسمه على الارض ليسحبه بسخرية بعيدا عن موضع سقوطه . لكن يوما سيقبل حين ترتجف الانسانية امام ذهنه الجبار يوما سيكون فيه سعيدا لان يرى « الناس غير خائفين من الله بل خائفين منه ! » .

***

انحشر الشاعر في مجتمع عرف سياسيا واخلاقيا وثقافيا ، بانه على اهبة لملاقاة الادباء والشعراء المتهكمين الساخرين . عصر طردت فيه الزوجات آدم من عدن ، ليخلون برفقة الشيطان » فالعدد الكبير من معامل التقطير في لندن ، كما لحظ ذلك مؤرخ معاصر « اشد اهمية من اي حادث جرى في المجالي العسكرية والسياسية في ذلك القرن » . وصف الاطباء الميسر لمرضاهم ، كشكل من اشكال اللهو . فلم يكن العصر عصر واهني القوى ، ضعيفي الابدان . فكل شخص ضعيف البنية ، وجد نفسه محكوما عليه بالحياة « الفاضلة المملولة » ومن أجل هذا اراد الاسراع الى نهايته باتخاذ عيشة صالحة »

امتاز هذا العصر بالمشاحنات الادبية والاجتماعية

والسياسية ، وهذا ما جعل الناس يقذفون بعضهم بعضا بالقذارة مما جعل بوب يزين قوسه على حسب الطرز الذي كان معترفا به. وبوقاحة الشباب ، كتب تعليقا على قصائد احد الشعراء المعاصرين ، رجل كان اكبر منه بعدة سنين . عرف هذا الشاعر «باسد المجتمع في المقاهي» واسمه امبروز فليبس — وقد نظم اشعارا دغدغت آذان المجتمع اللندني ، مدة طويلة .

وبمناسبة صدور مجلد الشاعر الاخير ، غالى جيش المؤمنين في كيل المديح له . وتعليق بوب نفسه ، بدا ، وكأنه صوت منسجم في جوقة المديح . وانتصافا للسيد فيلبس ، كتب بوب قائلا « ينبغي فحص بعض المقاطع في شعره ، مقاطع ، يبدو ان جميع النقاد تخطوها ، وهي ، في الواقع من الدلائل المميزة لعبقريته » . ثم اقتطف من بعض القصائد ، قصيدة الراعي بحق حبيبته .

« اواه من الزمن ! اواه من اليوم المنحوس »
« يا للشباب المشئوم ، الذي هو اشد سخفا من نعاجه »
« هذه النعاج التي كنت ارعاها في السهل الوردي ذات يوم » .

اسمعه ماذا يقول عن هذه الابيات « انه لا شك ينافس فرجل في سمو ارهافه الشاعري . اما قوله واني اسخف من نعاجي ، فتعبير لا ينبره غيره في فلسفته الشاعرية الساذجة » ثم جاءت اللسعة المحكمة ، في النهاية فجأة حين قال : « ما الطف سؤال المستر فيلبس حين يريد من نعاجه ان تعلمه كيف تثغو ! »

فغرت لندن فاها ، عند كشف ثغاء المستر فيلبس ، وهو امر قام به شاب لم يتجاوز سن الصبا . فاتخذ المستر فيلبس الخطوات المباشرة « للثأر لشرفه » . وبعد ان تأكد من اسم المقهى الذي يرتاده بوب ذهب الى هناك ، حاملا عصا غليظة ، واقسم على رؤوس الاشهاد ، بانه سيذيق بوب المر منها ، « اذا ما وضع ذلك الفتى القميء قدمه في مقهى بوتون مرة اخرى » ومن حسن الحظ ان بوب علم برغبة اخيه الشاعر فغير مقهاه المعتاد وانتقل الى مقهى آخر .

غير انه لم يتمكن من تغيير موقفه من التهكم . فلم يمض طويل وقت حتى ادخل انفه الوقح في نزاع آخر . ففي قصيدة تناقش الدراما القديمة والحديثة ، هاجم بعنف وخوف مسرحية خائبة كتبها المستر دنيس ، وكان هذا اشد كتاب المسرحية عبثا ، ان لم يكن اكثرهم شهرة .

ودنيس ، فنانا ، ادرك معنى الجرح الذي اصيب به غروره ، فلم يتخاذل لحظة في الرد على هذا الناشيء الدعي . وقد اتخذ هجومه شكل اهانة شخصية ، فقال : « من هذا الشاب القصير ، والسيد البدين ، الذي يماثل ظهره الملتوي قوس اله الحب بالذات ؟» يصح له الدفاع عن قيم الدراما عند الاغريق القدامى « ولكن له من الاسباب ما يجعله يشكر الآلهة ، لانه ولد عصريا . » لان الاطفال الاصحاء وحدهم ، كان يحق لهم البقاء في الحياة ، على حسب التقاليد القديمة ، « ولو ان المستر بوب انحدر من ابوين اغريقيين ، لما امتدت حياته اكثر من امتداد شهرة احدى قصائده — اي نصف يوم . »

هكذا كانت مهازل تلك الايام ، عصر من المنازعات والمهاترات والتناوش بالشتائم والتضارب بالقبضات . اهتز بوب من الضربة ، ولكنه شفي منها سريعا . واذن هذه هي طريقتهم في العراك ؟ حسنا انه سيريهم كيف انه مناضل لا يشق له غبار ! دعهم يقتلون الضعيف ، ليطفئوا الشرارة الواهنة ، شرارة حياته ، التي شاءت المقادير ان تشوهها . انه يكفيه سلاحه الامضى — لسانه الشائك اللاهب .

وهكذا جلس جوبيتر هذا ذو الارجل الاربعة في مكتبه ، رافعا جسمه على الوسائد ، لكي يتمكن منكباه من الوصول الى مائدة الكتابة ، من اجل تحضير صواعق اشعاره . ولكي يهون من آلام الصداع التي كانت تنتابه ، كان يتنشق بخار عدة اكواب من القهوة . عاش ليكتب ، وكان يفكر ليل نهار في القوافي المدهشة المدمرة قواف ستكون موضع اعجاب العالم وارعابه .

اصبح ذهنه مرآة مترجرجة ينعكس فيها العالم ، فشوه اخطاء العصر وحولها الى مهازل مثيرة . صادف ذات مرة ان جرت حادثة ممتعة في احدى صالونات لندن. ومؤدى تلك الحادثة : ان اللورد بيتر ، وهو شاب ، جميل ، ساحر ، نشيط الحركة ، يبلغ من العمر الثانية والعشرين ، استخدم مقصا لشعر الآنسة آرابيلا فيرمور ، وهي فتاة بارعة الجمال ، فاقتطف خصلة من شعر تلك الآنسة المحترمة .

فكانت فضيحة ، التحمت من جرائها اسر اللورد الشاب والآنسة الجميلة في منازعات ومشاجرات احدثت دويا شمل مقاهي لندن ، فما كان من الكسندر بوب ، الذي مثل دور هومر في هذه المأساة ، الا ان نظم قصيدة ساخرة بعنوان « اغتصاب خصلة شعر » فكانت هذه القصيدة ابرة ماسية اخترقت اجنحة الفراشة في هذا المجتمع ، لتظل سخرية ابد الدهر . فهراء الليدي آرابيلا ، ومشاغلها العابثة السخيفة ، بما في ذلك مشاكل اصدقائها ، لم تفضح بلغة معسولة مسمومة ، كما فضحها الشاعر . « ففي كل كلمة تموت سمعة » . فعالم « الموضة » اصيب برجة فاغمي عليه . ومرة اخرى اثبت قلم الشاعر الساحر انه زنبور لاذع .

وبقفزة واحدة غدا رئيس اساقفة التهكم في انكلترا ، مرتبة تعدل في اهميتها المرتبة التي يتمتع بها صديقه جوناثان سوفت ، اسقف السخرية في ارلنده .

ولعدة سنين احتفل الشاعر والناثر في نادي الثقافة ، وانغمسا في معارك قلمية في شأن الادب والحياة . انجذب بوب بغريزته الى الصقل القلق كعقله ، ولكن قوة هذا

الانسان ، كانت اشد صبرا على مشاق الحياة ؛ ومن اجل ذلك تمزق قلب سوفت بين اعجابه وتمتعه بهذا الشاعر القميء المجيد الذي يتبختر في مشيه ، بالبسته الفضفاضة، ليحافظ على استقامة قامته ، والذي يرتدي ثلاثة ازواج من الجوارب ليضفي على ساقيه النحيفتين ، نحافة الابرة ، شيئا يوازي السيقان الاعتيادية .

وربما كان الاسقف يشعر بعظمة (كرليفر) حين كان يجالس هذا القزم (الليلوبوتي) المتباهي ، بسيفه القصير اللامع في جنبه ، ومن اجل ذلك كان يدرك معنى سخريته الخالدة ، في جزيرة الرجال الاقزام المتباهين .

والواقع ، ان صداقتهما كانت صداقة غريبة ربطت بين مبشرين تاعسين ، تنبأ عن ضحكة العالم العظيمة . وكلما مرت الايام ، عسر التفاهم بينهما . لان الصمم اصاب سوفت فاشتد عليه ، وبسبب ضعف بوب الجسمي ، تعذر عليه سماع صوته . وحين كان القزم والعملاق يجلسان عدة ساعات ليرقب كل منهما الاخر ، قبل ان يذهب كل في سبيله ، يتمتم الاسقف العجوز قائلا : « انظر الى شوهة هذا الانسان القائم على سيقان العنكبوت . ما اضعف بنيته ! » فيرد عليه الشاعر القصير مقهقها « انظر الى هذه العيون المظلمة ، ففيها دلالة على الجنون ؛ فما اضعف هذا الذهن ! »

اذن فهذان الرجلان نتاجا « العصر الزاهي » عصر العقل ، الذي لا قلب له .

***

ومن الصواب بمكان ان تتظاهر بكراهة شعرك امام اصدقائك ، فلم تضيع وقتك مباهيا بعملك اذا كان كل شخص غيرك يثني عليك ؟ يقول بوب « انني اكتب حين لا اجد مفرا من ذلك » . ومع هذا فالذين عرفوه من صميم القلب ، كانوا على اطلاع بان درج الكتابة لم يفارق سريره ، فهو يبدأ عمله صباحا عادة ، واحيانا كان يدعو خدامه في منتصف الليل ليجهزوه بالقلم والدواة لئلا تفلت فكرة طارئة من قلمه . احتفظ بالوف الصفحات من العبارات البليغة لينخلها وينتقي منها ما يصلح لقصائده حين تبرز المناسبة الموائمة لقصيدة رائعة . صقل اشعاره واعاد صقلها حتى بدت كانها تتلاشى من كثرة الفطنة « كانها اجسام تذوب من ازدياد تدفق الدم . »

وفي هذا الجو الذهني ، بدأ ترجمة (الياد Iliad) هومر الفظة في اسلوبها الى اللغة الانكليزية الجورجية الانيقة ، وهذا يشبه تزيين نسر برياش طاووس . وبتلميح لطيف من عصا الساحر نقل ملحمة دراماتيكية الى شعر رعائي ، فعلق على ذلك احد النقاد الحاذقين بقوله « قصيدة جميلة حقا ، ولكنها ينبغي الا توعز الى هومر . » ومع هذا فقد وافقت ذوق القرن الثامن عشر ، واجتذبت الى مؤلفها مالا لا مثيل لمقداره في سجل الشعر . ولم يفهم معنى هذا الربح الوفير غير ناشري كتبه ، فساعدوه على الاستقالة من عمله ، واشتروا له وظيفة مامور احكام في سيكس . اما بوب فقد نظف ريشه ، بادعاء فارغ من الحشمة والتواضع ، ووظف ثروته بفائدة حسنة ، في الوقت الذي مقت فيه الجمهور الذي اغناه . لانه عد نفسه الها بين جماعة من الخلعيين المعجبين بانفسهم . فعاطفتهم ليست الا « موضة» والمعرفة ليست الا مظاهر «فقليل من المعرفة شيء مخطر» . ثم انه حين كان مشغولا بترجمة « الالياذة » استدعاه اللورد هاليفاكس ، احد اركان المجتمع الانكليزي ، الذي ظن انه اديب . ونزولا عند رغبة سعادته ، قرا له بعض الاشعار . وفي اثناء القراءة ، اتخذ النبيل « العالم » جوا خاصا من الانتباه المركز ، وفي ختام ذلك اعلن عن رغبته قائلا : « استميحك عذرا ، يا مستر بوب ، فانا قد وجدت عبارة لم تسرني ، فهل لك ان تشير الى موضعها بما يسرك من راحة . » وبعد ثلاثة اشهر عاد الشاعر من غير ان تبدل المسودة في شيء ، واعاد قراءة العبارة نفسها بصوت مغاير ، فقال اللورد « آه ، اصبحت الان الاشعار كاملة لا نقص فيها ، فليس احسن منها » وكان وجهه يطفح بشرا لهذه الحقيقة !

تمكن بوب بالمال الذي حصله من ترجمة « الالياذة » من شراء مقاطعة والاستقرار في حياة مرفهة باهرة ، حياة طالما حلم بها . فانهالت عليه الدعوات من الاكابر ، لرعايته من اجل جسمه المشوه ، ومن اجل بهاء ذهنه . تناول الطعام مع اعضاء المجلس الوزراء ، ومع الامراء ذوي الدم الملكي .

وذات مرة حين كان امير ويلز يناقش فن الشعر ، نام بوب وبدأ يشخر ، وفي مناسبة اخرى ، قال له خادمه : « طلبتك سيدة ، لما كنت خارج البيت . لم يسعني معرفة اسمها . ولكنها اقسمت اغلظ الايمان مما يدل على انها سيدة رفيعة الشأن » .

التقى بسيدات عاليات الشأن ، استعملن مكتبة اللورد اوكسفورد ، سيدات كن مركز الجاذبية ، اينما حل وحيثما ظل ، فشعر بانه طفل مريض نفور ، في رعاية كاملة تحت امرة احد الملاجيء .. فلم يكن في وسعه ارتداء ثيابه . ففي كل مكان ذهب اليه عنيت به ام وارفقت به وانبته .

سعد بالمجتمع النسوي ، فسر كثيرا بمغازلة مارتا بلاونت ، وكانت هذه شابة من جيرانه ، واحدى اعضاء دينه . اعلن عن عاطفته حيالها ، بلهجة انانية مركزة ، استخدمها دائما حين شعر بانها هينة يسيرة .

انه وجد من الشجاعة ما يخوله ان يكتب اليها قائلا : « صحيح انك لست جميلة كل الجمال ، ولكنك وجيدة

تعيشين بعيدا عن فلك المجتمع » .. اذ ان مراسلة المستر بوب تضفي فخرا على من يعيش فريد القلب في الريف . ذلك بان كل شخص يقدر المستر بوب حق قدره . »

رضيت مارتا بحبه وبعاهته المليحة ، فوضعت نفسها في حراسته من غير انقطاع ، وكان ذلك بسبب شفقتها ، وان لم يكن بدافع حبها — وقد استمر ذلك الى خاتمة حياته .

لم يكن سعيدا في قضية أخرى من قضايا قلبه . ففي مجتمع اللورد هاليفاكس ، واجه امرأة كانت اهلا له عرفت باسم السيدة ماري ورتلي مونتاغو . وهذه امرأة «خرجت على نظم التقاليد » فكان لها طفل ، سمته باسمها راضية ، في حفلة من الحفلات التي كانت تجري في الحانات ، ومن اجل ذلك كان في وسعها « ان تنتقل من شفة الى اخرى » .

وجد بوب نفسه اسيرا تحت سحر الليدي مونتاغو ، فوجدت فيه ذكاء رجوليا ، وهذا ما سرها في شعره . اعترفت له بانها سحرت برغباته الساخرة . فقال ردا على باسلوبه الرفيع المتعالي . فربتت على راسه بلطف ، ثم هذا الاعتراف « انني كرهت كل النساء من اجلك » وذلك عاملته كانه لعبة لطيفة . عاش معها سوية حتى اشتهر ذلك عنهما يوما . وبتأثير ابخرة الشراب ، جرب ان يمضي قدما في غرامه الهازل ، ليلعب دور محب صادق . كثيرون من الرجال واجهوا غضب المراة ، ولكن الويل لمن استدعى استهزاء المراة . قامت الليدي ماري بمحاولة جريئة لكي تبدي غضبها ، ولكن محاولتها السخيفة ، اي سخرية امرأة من الطبقة الرفيعة في مجابهتها لاحدب لا اهمية له ، اضاعت من شانها واتلفت قيمتها فدفعته بعيدا عنها ، واستسلمت لعاصفة من الضحك . اصفر الشاعر العظيم وخرج هاربا من الغرفة . فلم يغفر للسيدة ماري اهانتها المميتة ، والى خاتمة ايامه ، طاردها بقلمه الناري ، ورشقها برشاش من الشتائم اثر الشتائم ، ولم يستثن من ذلك ايا من اصدقائها .

بلغ من العمر عتيا ، ومن اعماق هذه المعارك الطاحنة الساخرة ، نهض شعره الهزلي العظيم كانه وهج الشمس المنعكس في الاوحال . فاهدى قصائده المدهشة العابسة ، بزغت من كراهته الموجهة شطر اللورد هارڤي ، وهو احد المعجبين بالليدي مونتاغو والذين دافعوا عنها بكل حماسة « ومع هذا فلا يهمني مثل هذه البقعة المذهبة الاجنحة ، هذا الطفل القذر الذي يغشى الاوساخ ، من اجل ان يعض غيره ... كلاب اعتادت مسايرة الفرائس بأدب ، ولكنها عجزت عن عض فرائسها . »

ومن سخرياته الرائعة الاخرى حسده الذي اضمره لجوزيف اديسون ، كاتب المقالات الشهير . ثم معاركه القلمية الباهرة التي انبثقت من مقته للعالم الادبي ، الذي واكبه طوال حياته . وقد سمى ما جمعه بهذا الشأن الدنسياد The Dunciad وهي ملحمة ساخرة تبحث في شؤون الحمقى .

* * *

حومت اسراب كثيرة من الفراشات الادبية حول شعلة عبقريته عدة سنوات . وتوسلت اليه بان يقرأ ما صبت عليه من الدراما والملاحم ، لينقحها ويبيعها من اجلها . ومن هذه الزمرة المتعبة المنهوكة ، جاء احدهم فعرض على بوب احدى « المآسي » .

وفي الختام ارتأى بوب ان يكتب ملحمة ساخرة عن بشاعة الاعمال التي تصدى لها كتاب الدرجة الرابعة . لم يقتصر نزاعه مع « الحمقى الذين لا حذر منهم » بل هو اهتم بخاصة مع الذين خرجوا عن سواء السبيل لايذائه . ترى ذلك منذ مبكر حياته ، فقد آل على نفسه الانتقام من هؤلاء الخصوم . ومما قاله في هذا الشان « من يمسني مسا رقيقا لايذائي ، ولو كان هذا الامر عن اهمال ، سيظل مطاردا من قبلي طوال حياته . » . ثم احتفظ بمكان خاص في ملحمة (الحمقى) لجميع النقاد والشعراء وكتاب المسرحيات وبائعي الكتب ، ممن لمس منهم اقل اذى . فانتقاهم واحدا واحدا ، وجردهم من مدعياتهم برمتها ، وبعدئذ شواهم بنيران هجائه .

اما الكتاب نفسه فمليء بالف اشارة واشارة عن اشخاص مغمورين ، ولم يكن في وسع الكتاب خلق ضجة صاخبة بين الجمهور ، لولا الشهرة التي اثارها (الحمقى) انفسهم عن هذا المؤلف ، ذلك بانهم فقدوا توازنهم فزمجروا

صارخين مولولين ، وهذا ما اضفى على الكتاب شهرته الوطنية الدائمة . ومن اجل ذلك اجتمعوا سراعا ليؤلفوا جبهة موحدة لمحاربة « طوفان السموم » الذي غزا شارع « كرب » . ومع ان الكتاب نشر اول الامر من غير ذكر صاحبه ، ولكن الجميع عرفوا بان شخصا واحدا في انكلترا قادر على نظم مثل هذه الابيات في الهجو . وهذا ما جعلهم يعقدون الخناصر للانتقام من الكسندر بوب . فكتبوا رسائل الى « الوزارة » مدعين ان بوب عدو للحكومة . ثم لم يكتفوا بذلك بل احرقوا تمثالا هزليا من تماثيله ، وهذا ايضا لم يطمن خواطرهم ، وهذا ما حدا بهم الى تهديد حياته . الامر الذي اضطر الكاتب الساخر الى عدم السير في الشوارع ليلا ، الا اذا كان مدجج السلاح ، يرافقه كلبه ليحرسه من المهاجمين .

هذا من جهة ومن جهة اخرى فقد ابتهج اصدقاؤه بهجماته المقابلة ، فاقبلوا الى مقاطعته في (توكنهام) متضرعين اليه الا يضع قلبه الساخر بعيدا عنه . ربت الشاعر على اكتافهم ومازحهم ، وشكر لهم نصيحتهم واحتج عليهم بانه لم يقصد ان يلمع نجمه كاتبا ساخرا قط . ومما قاله بانه يؤذيه كثيرا ان يكون موضع مقت شديد الى هذا الحد من الغلو ، في حين لم يكن هو غير مخلوق انيس ، آمل ان يقضي حياته في نظم الاشعار الغرامية والقصائد الرعائية . ثم برر هذا العداء الذي واجهه به الناس ، بانه يعود — في سببه — الى العديد من زملائه ، الذين حسدوا عبقريته بعنف وتعصب ، والذين استخفوا « بجسمه الضئيل » . ومن اول الامر حاول عالم الرجال ، اهتبال الفرصة المناسبة لتحطيمه ووطئه تحت اقدامهم . فاضطر الى انقاذ نفسه باسلحة تهكمه . ودفاعا عن النفس ، حمل على الرد على المؤامرة الشاملة ، بكل قوة وبما وسعه من حول .

والحق ، ان بوب آمن بواقعية هذه المؤامرة . فشك في صداقة اي كان ، حتى اولئك القرود الثرثارين الذين اسرعوا الى (توكنهام) للايناس بمعاشرته . حسنا ، هو لا يخشى شيئا ، فهو مستقل من الجميع . وهو قادر على الوقوف على قدميه ، انه صنع اسماله وثروة ، بعد اجتياز طرق صعبة المرتقى . ومن اجل ذلك كله ، فهو على أهبة لتحمل الاهانات . وذات مرة خاطب ضيوفه باسلوبه الرفيع قائلا : « ايها السادة ان قلبي لكم جميعا ، وكذلك بيتي وثروتي . » واذا ما بدت مناسبة للاستفزاز فلهم جميعا هجاؤه اللاذع كذلك . ذلك بانه اعد أهبته لهم كلهم ، اذ لم يثق بمبدا اي منهم . الم يكتب سرا حياة سوفت المشوهة ، لتكون سلاح انتقام له ، اذا ما وجد ضرورة لذلك؟

ومع هذا ، فهو في الواقع رجل طيب السريرة ، نبيل الخلق ، كريم المعدن . انه سيري الشعب الانكليزي حقيقة هذا الشاعر القصير ، في صفائها ونقائها وصراحتها وانسانيتها ، كيلا يكونوا في شك من امره . فهو سيعيد كتابة رسائله الخصوصية ، ليظهر دخيلة نفسه ، وذلك كله لصالحه . ثم سيزين هذه الرسائل لا بجواهر العدل ومواعظ العقل . » وبعدئذ ، سيشرع بطبعها في غضون حياته ، من غير علمه بذلك . ذلك بانه سيتظاهر بانها سرقت منه وقدمت الى احد باعة الكتب ، رغما عنه .

ثم خرجت هذه الرغبة من قلبه الى موضع التنفيذ . اذ حان الوقت لقصيدة اخرى ، هي « مقالة عن الانسان » سيكون هذا المؤلف تاج شعره الاخلاقي ، كما كان « دنياد » تاج شعره التهكمي .

انه سيغمس اصابع خياله في قارورة التقاليد المتعلقة بمصير الانسان . ثم سينتقي الاطراف الميتة ليجعل منها فلسفة من الدرجة الثانية ليضفي عليها رداء قشيبا من الشعر .

« فالفطنة هي الفطرة في ردائها الرائع ، فما يمكن الشعور به لا يسعنا التعبير عنه . » وهذا هو مذهب هذا الفيلسوف المتهكم . ذلك بانه مستعد لضرب الف مثل من هذه الامثال ذوات النكهة اللطيفة ، العذبة ، المنيفة ، لتبقى على الشفاه جيلا بعد جيل . ثم انه لا يتورع من وضع قلادة من العبارات المتلالئة ، حول عنق اوزة الحقيقة ، وتشبيكها بفكرة ثمينة ، متضمنة في بيتين رائعين ؟

« ومع الكبرياء ، في العقل المخطيء »

« ثمة حقيقة واضحة ، هي ان كل ما هو كائن حق . »

***

وفي السابعة والخمسين من العمر اخلد الاحدب الذي لازم الهة الشعر ، اخلد الى الراحة والهدوء . وقبل وفاة بوب بمدة يسيرة ، ترك صديقه الحميم — جوى غي ، كاتب المسرحيات — المسرح ، تركه بهزة متهكمة ، متمثلا بالقول اللاذع الذي نقش على قبره « ليست الحياة سوى نكتة ، وكل الاشياء ترينا ذلك ؛ وقد ظننت الامر كذلك مرة ، اما الان فانا على يقين من مصداق هذه الحقيقة . » ثم ان صديقا مخلصا آخر ، هو الاسقف سوفت ، اصابه الجنون . والان فان الكسندر بوب ، آخر من تبقى من ثالوث الساخرين . تعجب ، على فراش الموت ، من وجود شيء يسمى العبث الانساني .

كان موت بوب بالنسبة الى الاقلية ، فرجا طالما توقعوه للخلاص من هذا الحلم المرعب . اما الاكثرية فقد استمرت في ولائها لذكراه . ذلك بانهم تذكروا ابيات الشاعر الباقية على الزمن ، مع ما كان للرجل من عيوب زائلة — تلك الابيات التي أريد بها دعوة الناس الذين يدركون قيمة الفناء وقيمة الحياة :

« .. فما يؤثر في قلوبنا ، ليس انسجام اطرافنا ؛ »

« فليس الجمال عينا او شفة ، بل هو تلك القوة المنسجمة »

« المنبعثة من الكيان الانساني باسره . »

يوسف عبد المسيح ثروة — العراق — بعقوبة

قارب الاحلام

*

على جدول الحب والذكريات
مضينا بأيامنا الباقيات
نهيم على أنغم خالدات

وقاربنا من رفيف السنا
يضم شتات الهوى والمنى
وينساب والحب من يومنا

وحسنك كاللوحة الرائعة
يهاديه كالانجم الساطعه
وتسري به الذكر الهاجعه

وأطيافه الحرة الخافقه
على البسمة السمحة العاشقه
وترعاك عاطفتي الدافقه

ووجهك كالزهرة العاطره
ولحظك ترنيمة شاعره
وشعرك كالهالة الساحرة

على قارب شاعري السرى
وشدنا وجودا رفيع الذرى
سمونا به فوق هذا الثرى

ورجع الترانيم خلف الربى
وليلاتنا الخافقات الصبا
تجدّ لنا وجدنا الذاهبا

وطل المساء وطيف الغمام
ويضرم فينا لهيب الغرام
ومن أمسنا حوله في سلام

مثال من الفن في أوجه
يذوب الضياء على موجه
على صحوة من صدى لجه

ترقرق أضواءها الحانية
ووجنتك العذبة الساجيه
بفيض من المثل الوافيه

أراعيه كالطائر الحائم
على أفقي الحالم الهائم
ترف على قمري الباسم

شدونا بلحن الهوى والغزل
على درج من ضياء الامل
على مسبح من رحيق العبل

القاهرة

حسن فتح الباب

للكاتب الايطالي دينو بوتساتي

دودة في المنزل

ترجمة : مصطفى آل عيال

دينو بوتساتي

لقد آلت صحيفة الكوريرِدللاسيرا (بريد المساء) على نفسها ان تتحف قراءها باقصوصة تنشرها في كل عدد يصدر منها . ويحررها لها احد الكتاب المخضرمين المشهورين . واعني تلك الفئة من الكتاب الذين تجاوزوا العقد الرابع من سنهم منذ زمن بعيد .

وقد نهج معظمهم نهجا جديدا في عالم الاقصوصة ومفاهيمها . ما كانت لتهمهم الموضوعات ذات الطابع الفريد الغريب الذي يدهش القارىء فينزعوا منه اعجابه ويحوزوا بتصفيقه . انما اقاصيصهم تمتاز احيانا كثيرة عن غيرها بطبيعة الحوادث وبساطة الحبكة . ان همهم جبر القارىء ليعمل معهم على تفهم اشخاص اقاصيصهم ومشاطرتهم تفكيرهم ومشاعرهم .

***

ولد دينو بوتساتي في مدينة بللونو Belluno في الفانتو Veneto من اعمال ايطالية الشمالية ، عام ١٩٠٦ . وهو الان يشتغل محررا في صحيفة الكورير دللاسيرا .

من اولى تآليفه التي عرفته الى القراء قصة دعاها : « برنابو الجبال » حيث بدا فيها اسلوبه الشعري يعلن عن ذاته باجلى بيان ، ويمهد السبيل لصاحبه الى البروز في عالم القصة والاقصوصة . هذا العالم الذي جعل بوتساتي مظاهره الخارجية مرتبطة باشكال وامورواقعية ومتشحةبوشاح الاسطورة احيانا . وهو يضفي ابدا على العزلة الانسانية المقدرة ، وعلى الامل المخدوع ابدا ، هذا الامل الذي اتخذه نقطة ارتكاز لالهامه ، المنظورات المدهشة لدنيا الاحلام والالوان السحرية للسراب .

وقد بدات مقدرة التأثير في بوتساتي الذاتية تزداد رويدا رويدا . وتتعقد احيانا لتأصل الرمزية فيها ولا سيما في المؤلفات الاخرى التي كتبها : كقصة : « صحراء التتر » (ميلانو ١٩٤٠) . وفي مجموعة اخرى من الاقاصيص دعاها : « الرسل السبعة » (ميلانو ١٩٤١) . وهكذاحتى بلغت اقاصيصه وقصصه درجة فرق الواقعية للواقعية نفسها . هذه الدرجة التي رغم تأثرها بكتاب الثلاثين سنة الاولى للقرن العشرين بقيت تحتفظ بكثير من طابعها الفني الفطري .

ونذكر له من بين مؤلفاته الاخيرة : « الخوف في تياترو اسكالا بميلانو » (ميلانو ١٩٤٩) و « حادث مرضي » (ميلانو ١٩٥٣) .

قصة : دودة في المنزل

كنت جالسا الى النافذة في أصيل احد الايام ، عندما ابصرت برجل يمر من تحتها . كان له من العمر مثل ما لي تقريبا . ربع القامة ، اسمر البشرة . له شاربان صغيران . يرتدي ثيابا لا تدل على الرخاء ولا على الفقر المدقع . ولقد شاءت الصدف ان يرفع رأسه . وشاءت هذه الصدف ايضا ان يقع نظره عليّ . فرفع يده ملوحا بها علامة التحية . وخرجت من فيه صيحة او شبه صيحة :

ـ مرحبا يا اندريا

من يكون يا ترى . ساءلت نفسي . لم تكن ملامح وجهه غريبة كل الغرابة عني . ومع ذلك لم استطع معرفته . فاستعرضت استعراضا خاطفا الاسماء التي تزخر بها ذاكرتي . فلم اتمكن من ان اختار له اسما من بينها . من هو . اهو رفيق لي من عهد الصبا في المدرسة . ام يكون زميلا لي تعرفت اليه وانا في الجندية .

على كل حال وحتى لا اتهم بقلة الذوق ، فقد رددت التحية له باقل منها . فرايته عندئذ يحرك راسهذات اليمين وذات الشمال ولسان حاله يقول : « هل تذكر تلك الايام البعيدة ما اجملها . »

فاحترت في امري وما عساي ان اقوله . وكل ما فعلته هو انني انسحبت الى غرفتي ابحث مرة اخرى في صفحات ذاكرتي المطوية علني اعثر على اسم لهذا المخلوق المتطفل .

مضى على ذلك حين من الزمن . وفياحد الايامالتقيت به في الطريق . فما راعني الا وهو يندفع نحوي بلهفة واي لهفة . وعانقني عناق الاحباب للأحباب وقال : ـ سرعان ما عرفتك في ذلك اليوم وانت جالس الى النافذة . وسرعان ما اسعفتني الذاكرة وهمست لي في اذني : « هذا هو اندريا فيلاري .... بينما انت .. اخبرني صدقا ، اليس من الغرابة انك لم تعرفني بعد .

ـ أعرفك ... ولكن عفوك . ان لحظة من الزمن كفيلة بالمعجزات الخارقة والانقلابات الخطيرة . فما قولك بالسنين الطوال... ثم لا اخفاك

اني ضعيف الذاكرة ... وما اكثر ما تخونني ...

***

كان هذا الصديق الطارىء بيضاوي الوجه املسه. عيناه سوداوان حلوتان كأنهما السائل المحلى بالسكر . قال معرفا عن نفسه :

انا موللا Molla اجيديو موللا . كنا معا في المدرسة . في الفصل الرابع والخامس ثانوي ... كيف لا تتذكر . كنا اخوين . بل كنا اكثر من ذلك . ثم انتقلت اسرتي الى مدينة ريميني Rimini وقد كتبت لي انت نفسك رسائل عدة حتى اصبح عندي منها ركام . ولا ازال احتفظ بها كلها .

عفوك — قلت له وانا اجمع شتات نفسي لاتذكر شيئا مما كان يقص عليّ ، فلم اوفق . — عفوك . لقد مضى على ذلك سنوات عدة . ولكن وانا افكر بذلك الان واستجمع الذاكرة ... اجل الان اتذكر ما تقول ... اخبرني ما هو العمل الذي تقوم به في هذه الايام .

وهكذا بدات الاستجوابات والاستعلامات والايضاحات بيننا . اما انا فقد اخبرته باني اتاجر بالسلع القديمة ذات القيمة الفنية . وهي صنعة والدي من قبلي . واني متزوج ولم يرزقني الله لا بنين ولا بنات . اما هو فكان اعزب . يعمل في شركة للاعلانات . ويدعي بانه رئس مكتب المطبوعات لاحدى المصانع الكيماوية الكبرى . ويؤلف بعض المقالات في شتى الابحاث وينشرها في امهات المجلات . وجماع القول فقد فهمت ان هذه الاعمال كلها وعلى كثرتها لا تدر عليه لبنا وعسلا .

ثم كان بيننا شبه وعد ومواعيد لنلتقي مرة اخرى . اين . لا ادري . ولقد تبادلنا ارقام الهاتف . فانا اعطيته رقم منزلي وهو اعطاني رقم منزله .

— ما اعظم سروري بلقياك يا عزيزي اندريا . لا أدري كيف احلل هذا الشعور الذي يخالجني في هذه اللحظة السعيدة ويسر لي في اذن نفسي : « ان هذا الالتقاء سيكون مجلبة للخير وفاتحة بركة لي . »

جربت بان اقاطعه معتذرا ... كنت غير مرتاح الى كل هذا الهراء من الكلام . ورغما عن حصر الذهن والبحث والتنقيب بين صفحات الذاكرة المطوية او المنسية ، لم يتسن لي بعد ان اتذكر بقليل او كثير زميل الدراسة هذا اجيديو موللا لم اعثر له حتى ولا على ظل عابر سبيل في ذكرياتي الغابرة .

***

دارت عجلة الليل والنهار . وفي ظهر احد الايام ، اكفهر وجه السماء . وكانت السحب متراكمة ، متلاطمة تنذر بالشر . وما عتم ان هطلت الامطار غزيرة جارفة . فلم تبق ولم تذر . وكان يلذ لي منظر الطبيعة وهي في غضبتها . وكم لها من غضبات حلوة . فتوجهت الى تلك النافذة وفتحتها . وليتني لم افعل . وهل تحزرون من رأيت في الشارع . كدت لا اصدق ما تراه عيني . هممت بان اغالط نفسي ... ولكن ... لقد شاهدت صديقي المزعوم موللا بلحمه وشحمه واقفا تحت الماء المنهمر وهو يعالج دراجة له كان يركبها وقد ثقبت عجلتها على الارجح . وليس في هذا الطريق مكان يدرأ به عنه شر المطر . كانت المنازل تقوم على كلا الطرفين . وليس ثمة حانوت او حانة يأوي اليها . او رفرف يدرىء عنه المطر . ما كاد نظري يقع عليه حتى امسكت عن التنفس . ولكنه رآني في الحال . فضحك واشار بيده اشارة فيها بعض الرشاقة والقحة في آن واحد . فكانه يريد ان يقول : « علينا بالصبر اذا ابتلانا . »

ماذا كان علي ان افعل ازاء ذلك . هل اتركه يغرق في ذاك الطوفان . أو اترك السيول المتدفقة تجرفه كما كانت تجرف الاقذار وكل شيء تطفل عليها او اعترض سبيلها في اندفاعها .

لقد غادرت مكاني كارها . وانحدرت من السلالم ، وفتحت له الباب الخارجي . ودعوته الى الدخول . وقد بللته المياه من راسه الى اخمصه . فاصعدته الى البهو حيث كانت زوجتي . وقدمته اليها . فكان امامها وجلا مترددا . تترى الابتسامات فوق محياه . ولسانه لا يفتر عن اللهج بالثناء الحميد وعبارات التبجيل والتكريم والاحترام والتعظيم . ويشوب حركاته اضطراب وتهويش . كان يتوقف عن الكلام بين الفينة والفينة . لايحرى جوابا ، فكانه اصيب بالبكم فجأة . كان يحدجني طويلا بعينيه الثقيلتين .

— ستبعث ، ستبعث من رسمها . همس لي على حين غرة كانه يكشف القناع عن خبر سار جميل جدا لم يطلع عليه بعد احد .

سألته ببلاهة : — ماذا سيبعث ، ماذا ...

— صداقتنا القديمة — صداقتنا الحميمة . أليس كذلك ؟

ان هذا الاندفاع وراء فيض من العواطف والشعور يثير اعصابي . ولا سيما اذا كان ذلك بين رجلين . اني اخجل من ذلك ولا اجد في كل هذه الخزعبلات صدق التعبير عن حقيقة الصداقة .

وكنت اجيبه على كل هذا اللغط والهراء بكلمة واحدة لا غير ، فيها شيء كثير من البرودة والفتور : يا حبذا

ثم قلت له : — والان تعال معي لاريك منزلي .

واعترف هنا ان بي ضعفا الا وهو حبي لمنزلي . كل ما كنت املك من الاثاث كان قديما ، له قيمته التاريخية . وكذلك اللوحات الفنية فانها تمثل مختلف مدارس الفن الشهيرة . ثم هناك مكتبتي والتي لا بد ان يكون لها تأثير على الزائر واي تأثير . كانت تحتل قاعة واسعة . قامت على جدرانها خزانات مرصوفة بشتى انواع الكتب . الثمينة النادرة . وقد بلغ عددها عشرين الف مجلد ،

أكثرها في التاريخ ولا سيما في تلك الحقبة من التاريخ ابتداء من الثورة الفرنسية فصاعدا . ما كاد صديقي ، ولنسمه باسمه ، ما كاد اجيديو يراها حتى امطرني بوابل من الثناء على كبير همتي وحسن اختياري وخبرتي بالكتب الثمينة . واسمعني من العبارات الطنانة والجمل الرنانة التي تعرب كلها عن شديد دهشته واعجابه بما يضيق بذلك ارجاء مكتبتي رغم اتساعها .

ـ عظيمة . عظيمة جدا . انها منجم ثمين لي . وجنة فيحاء دانية الثمار . هل تعلم باني اشتغل منذ زمن بتاليف كتاب عن ضباط نابليون . والان ارى مكتبتك غنية فوق ما كنت اتصور ، بجميع المصادر اللازمة لي . مصادر سبق لي وان فتشت عنها في كثير من دور الكتب والمكتبات ، فلم اوفق في العثور عليها ، وقد ذهبت كل محاولاتي لمعرفة شيء عنها سدى ... قل لي يا اندريا الان ، ايسوءك اذا .. لالا .. ان ذلك سيثقل عليكما كثيرا ، انت والسيدة الكريمة حرمك .

ـ ما هو هذا الشيء الذي سيثقل علينا ؟ ـ سألته بدون روية واكتراث .

ـ قلت لك لالا ... استجير بالله وملائكته الا يجعلني لجوجا مزعجا ثقيلا كلا على اصدقائي . ولا سيما على صديق صدق مثلك .

ـ هيه قل تكلم ـ قلت له وكأني ازجره وقد نفذ صبري .

ـ دونك ذلك طالما تريدني ان اتكلم . لقد فكرت ثم احجمت . ولا ادري ان كنت ستأذن لي بزيارة مكتبتك من حين لآخر لمراجعة بعض المصادر ... لا . لن اثقل عليك . ولكن .. اعدك باني لن آتي باية ضجة تسوءك مهما كانت طفيفة . سأمكث في احدى الزوايا واعمل بصمت كلي .

***

لم يشأ صديقي المزعوم ان يضيع الوقت . فقد جاء في اليوم التالي مهرولا . كانت الساعة التاسعة الا ربعا صباحا . وانا لم اغادر البيت بعد . دخل على راسي قدميه ، كأنه يريد ألا يراه احد . وقدم لي صرة واسارير وجهه تشع بشرا وحبورا . وقال :

ـ لقد فكرت بان هذه الهدية ستفوز باعجابك . اقسم سلفا بان ليس في مكتبتك نسخة من هذه الكتب ... كانت ملكا لجدي المرحوم فورثها ابي فورثتها انا عنه ...

تناولت الصرة وفتحتها . يا للسخرية . كانت هذه الكتب من الطبعات العادية التجارية التي يمكن الحصول عليها بدريهمات بخسة . هي من مؤلفات المؤرخ الفرنسي هيبوليت تاين Hyppolite Taine (١٨٢٨ـ١٨٩٣) . فقلبتها مرارا بين يدي ، واعترف بانه كانت تعوزني الشجاعة الادبية . فبدلا من ان اصارحه بما خالجني من شعور الخيبة بهذه الهدية التافهة ، فقد اظهرت سروري بها وحماسي لها . وزد على فسالتي فسالة ، فقد شكرته ايضا ودعوته الى الجلوس وراء منضدتي ليستطيع العمل براحة .

ـ كلا . كلا . هذا مكانك ... اني لن اتطفل عليه مطلقا . فاذا فعلت فلن اغفر لنفسي ذلك ولن اكون مرتاحا استحلفك بالا تتعب نفسك من اجلي . سأتخذ مكاني وراء تلك الطاولة الصغيرة في تلك الزاوية النائية . واعمل كتابة وتشطيبا في اوراقي بدون ان ادعك تشعر بوجودي . والان قم انت ايضا الى عملك واياك وان تحسب لوجودي اي حساب .

***

عدت من المتجر في الساعة الواحدة ظهرا . وسرعان ما سألت زوجتي : ـ الا يزال اجيديو في المكتبة ؟

ـ اظنه لا يزال مكبا على اوراقه . مسكين انه لا يشعرنا بوجوده ولا يزعجنا .

تناولنا زوجتي وانا طعام الغداء . ومن الطبيعي ان تبلغ المكتبة قرقعة الصحون وضرب الملاعق والشوك وغير ذلك . سألتني زوجتي : ـ متى يتناول هذا المسكين غداءه .

ـ وما يدريني بذلك . اجبتها كالح الوجه متجهمه .

لقد ارهفنا السمع علنا نتبين حركة او نامة تدل على وجود انسان حي في قاعة مجاورة لنا تماما . ومن الامور المزعجة لنا اذ نفكر ، ونحن نلتهم الطعام ، بان في قاعة المكتبة المجاورة ، انسانا باق على الطوى .

***

داوم على هذه الحالة طيلة اربعة ايام . يؤم المكتبة في الساعة التاسعة صباحا ولا يخرج منها الا قبيل العصر . لقد دعته زوجتي اليوم ، وليتها لم تفعل ، دعته الى تناول طعام الغداء معنا .

ـ لا لا يا سيدتي . ان هذه الدعوة لم تكن مطلقا في نطاق اتفاقنا . وثم لقد اعتدت عدم تناول طعام الغداء ... كلا سيدتي اني آسف . لا استطيع قبول دعوتك واشكرك

على تلطفك وافر الشكر . حسبي ما اثقلت عليكما طيلة هذه الايام . ان اندريا رجل جد طيب ... اجل ان الصداقة امر مقدس . ولكنهامخلوق حساس ، ضعيف البنية ، سريع الانفعال . والويل لمن يتخطى بعض الحدود التي رسمتها لنفسها ...

رات زوجتي ان موقفها اصبح حرجا ازاء تصلبه . فاضطرت على ان تكرر عليه الدعوة وتلح . وما كان هو الا ليزداد تمنعا . وكان يصوب ويصعد اليها عينيه الخبيثتين المتظاهرتين بالوداعة الكاذبة الزيفاء .

كررت زوجتي دعوتها مرة ثالثة . والحت ايضا ورجته بان يقبل ذلك اكراما لخاطرها . عندئذ لان واستسلم وقبل الدعوة متظاهرا بالزهد بها والتبرم كانه يقوم بتضحية ما فوقها تضحية . ولم ياكل الا بضع لقمات وانسحب مدعيا الشبع .

بعد هذه الدعوة بدا اجيديو يتوقف في المكتبة لمراجعة بعض المصادر على حد قوله ، حتى المساء .

وآل بنا الامر انندعوه ايضا ليتناول طعام العشاء معنا . والان وقد عادت شهيته اليه بعد غياب لا يعلم الا الله كم طال . واقبل على الطعام يلتهمه ليستعيض ما فاته منه في المرة الاولى . وهو لا ينفك يردد على مسمع من زوجتي : ـ انك يا سيدتي ساحرة . انك توقعين في تجاربك القديسين انفسهم . لا ريب بانك تحسنين السحر والتنويم المغناطيسي . انك تستطيعين تحويل الاحساس بالحاجة المحزنة للغذاء الى شعر تذوب في عذب الفاظه ورقة تعبيره وفصيح بيانه تلك الحاجة البدائية الى تغذية الجسد .

وهكذا كان . فقد صار يتلطف ويجالسنا على المائدة وقت الغداء والعشاء . ولا ينسى ابدا ان يسمعنا ذاك الفيض الجارف من اطرائه المصطنع بكلمات ضخمة .

***

ولقد لاح لي في هذه الليلة اني اسمع جلبة كانها حفيف الاوراق ـ كانت الساعة الثانية بعد منتصف الليل . اتكون الجرذان صاحبة تلك الضجة الخفيفة . غادرت سريري وفي نيتي ان استطلع عن جلية الامر . وقصدت المكتبة وما راعني الا منظر انسان آدمي قابعا في زاوية من زوايا المكتبة لا يزال يقلب في صفحات الكتب غارقا في بحران من التاملات .

قلت له : ـ عفوك يا اجيديو . الا تذهب الى نزلك . يجب ان انزل السلالم لافتح لك البوابة الخارجية وانا الان نعسان . وليس بودي ان افعل ذلك .

ـ هل هو انا الذي ايقظك ـ قال ذلك بذلة وانكسار خاطر .

آسف اشد الاسف يا عزيزي ... كنت اظن ان بوسعي ان امضي الليل وانا اكتب . لقد طالما اعتدت على ذلك . استحلفك يا اندريا بان تعود الى مخدعك لئلا يلفحك الهواء . فاكون قد سببت لك مكروها لا سمح الله . ـ قال هذا ثم قام ودفعني الى غرفتي (وكانت زوجتي تنام في غرفة اخرى) كما تدفع الام طفلها . وبعد ان غطاني جيدا باللحاف ، قعد على طرف السرير يمازحني ويثرثر .

ـ من المؤكد انك تنام هنيئا في مثل هذا الفراش الوثير . . انا ايضا لو كنت مكانك . . . آه . لو جربت سريري في النزل الذي انا مقيم فيه ... اجل ان سريرك هذا لجدير بهذا الاسم .. بوسع شخصين ان يناما فيه بكل راحة . ويبقى من الفراغ ما ربما يسع نصف شخص آخر . دونك كيف استطيع ان انام بقربك دون ان ازعجك او تزعجني . وهكذا مازحا او جادا فقد تمدد الى جانبي فوق اللحاف . اما انا فقد كنت تحته ، واعني تحت اللحاف . . .

ـ ما اجمله سريرا ـ قال اجيديو متنهدا من الاعماق . ـ ما احسن حظك وما اتعسه . . . ـ وهنا ايضا مازحا او جادا اطبق عينيه وتظاهر بالغطغطة . وما اشبه ما كان هذا التظاهر بالحقيقة . هززته وصرخت فوق راسه : ـ اجيديو . اجيديو . قم . . . ـ لم يحر جوابا ولم يتحرك .

ـ اجيديو . استيقظ . قم . ـ عبثا حاولت . لقد اطبق عليه النعاس بكلابتين اشد من الصخر . فاستسلم الى الكرى وكان لشخيره ونخيره موسيقى اين منها الجازبند والسمبا .

امضى ليلته في فراشي الوثير . وامضيت ليلتي في الغرفة الثانية فوق ديوان ضيق . ما كنت اطيق قربه . لقد كل ذلك اقوى من نفسي . وعبثا احاول مقاومة مراوغته .

لقد ايقظني هو نفسه في هذا الصباح . ففتحت عيني ورايته جاثيا على ركبتيه الى جانبي ، تكاد الدموع تطفر من عينيه .

ـ اندريا اني ذاهب . لا استطيع البقاء بعد الان ولو لحظة واحدة ... عفوك يا اندريا . فان ما سببته لك من الازعاج يفوق كل وصف . ما اثقلني وما اسمجني . لقد حرمتك سريرك . يا للقحة . لا شك انك تدرك اني شعرت فجأة بشبه دوار في راسي عندما تمددت بجانبك ... اجل . اني اعرف ان هذا الاعتذار لا يبرر ما اقترفته بحقك . لو كان شخص آخر ، اقل منك طيبة قلب ، لظن باني اريد ان استثمر تلك الهدية من الكتب التي قدمتها لك . لو كنت شخصا آخر لرميت بي الارض من فوق السرير . . ثم ثم ... دعني يا عزيزي اعترف لك بكل شيء .. اني لن استطيع البقاء في منزل حيث الخادم نفسها تحتقرني وتهزأ بي .

ـ من ، الخادم كارولينا ؟

ـ اجل كارولينا ذاتها ... لقد سمعتها باذني هاتين تقول لخادم اخرى ما فحواه : « لا بد من ان ياتي يوم يرحل عنا هذا الثقيل السمج المتطفل . قاتله الله . » هذه كلماتها . الا ترى معي ان الفقر والمسكنة يلوثان اصفى شعور الصداقة . ثم اجهش

بالبكاء . وكان يصوب ويصعد الي عينيه من خلال دموعه المنهمرة .

* * *

لقد بقي عندنا ولم يذهب . خلافا لما كان يعزم عليه . وذلك لاننا رجوناه كثيرا بالا يغادرنا . لقد نزل عند ارادتنا وبقي حيث كان . ولكن اسارير وجهه لا تزال تتظاهر بحمل أثر لتلك الاساءة التي لحقته من الخادم .

اما كارولينا الخادم الشيخة فقد كانت بخدمتنا منذ اثنتي عشرة سنة . وقد طردناها الان لمدة اسبوع جزاء لها على ما تقولت ، ومنذهذا الحين صار اجيديو يأكل معنا صباحا ومساء . وينام في سريري ليلا . لقد اصبح سيد البيت . ولكنه دوما هو هو لم يتبدل : وجل خائف ، متردد ، لطيف ، مراوغ ، يتكلم بذلة ويضمت طويلا .

وعندما كانت تجمعني وزوجتي خلوة ، كنا نجتنب تبادل الكلام معا . ولا ندري ما السبب . كان الحياء يغالبنا الحياء من ضعفنا ازاء هذا الغريب الطارىء الدخيل . او يكون ذلك خوفا من ان تقول كلمة صدق بما اصابنا او ربما يكون بينه وبين زوجتي علاقة او شبه علاقة . . . وهي تخشى التحدث في اي موضوع كان خوفا من ان يزلق لسانها بما لا تحمد عقباه . . . من يدري ؟ . . .

جرى اليوم حديث طويل بيني وبين اجيديو ، القى علي في اثنائه خطبة مؤثرة . لقد اعرب لي عن رغبته بمكافاتي على صنيعي نحوه . وطلب من اجل ذلك ان اسمح له بالعمل في متجري . وقال ان بوسعه ان يستقبل الزبائن احسن استقبال . وسيقوم ايضا بتنظيف المحل كما اشاء واشتهي . المهم ان افسح له المجال ليقوم باي عمل حتى يفي ما عليه نحوي .

* * *

منذ اسبوعين وهو يساعدني في متجري . انه يقوم على حد قوله بجرد البضائع كلها . انه ينوي ان يعمل ميزانية عمومية بالاصول والخصوم . ويدعي ان مثل هذه العملية ضروري جدا . وخلاصة الحكاية انه أقام المتجر واقعده . كان دائم الحركة لا يهدأ فترة واحدة . والان يحلو لي ان اسائل نفسي : هل ان وجوده مفيد لي . اني افكربعكس ذلك تماما . لاني اصبحت على بينة من صيرورة بعض الامور والمسائل . ولذلك وكي اتجنب كل ما يؤدي الى



سوء تفاهم وقيل وقال في المستقبل، فقد عزمت على ان اعين له مرتبا شهريا ضئيلا نوعا . وما كاد يعلم بعزمي هذا حتى ثار وحسب ذلك اهانة له . واظهر اشمئزازا وترفعا. قال :

— ألست أعز اصدقائك ؟ اذن فاني اعتبر مساعدتك من اولى الواجبات عندي .

وبعد هذه المناجاة ، وهذا الدرس في المروءة ، والصداقة المجردة ، فقد ظهرت بمظهر الرجل المجني عليه . والذي يضحي براحته وذاته من اجل غيره . ولم افه بكلمة عن كل ما حدث لاي كان من الناس .

★★★

سأقتله واستريح . هذا هو الحل الوحيد . هذا ما صممت عليه. سأقتله الليلة بالذات . سأطلق عليه النار وهو نائم . وسأضلل التحقيق. واوهم رجال التحري بانه حادث انتحار .

ما كادت تدق الثانية بعد نصف الليل ، حتى بدات عوامل الاضطراب تجتاحني . فانسللت الى غرفته . هذه الغرفة التي كانت لي منذ الامس القريب . دخلت وانا اكاد لا اتنفس. كان المسدس بيدي . وكان النور الآتي من الخارج من خلال النوافذ المفتوحة ، يضفي الضوء الكافي على الغرفة . ولقد ظللت ربع ساعة وانا اقترب من سريره رويدا رويدا . كنت امشي عاري القدمين . يداخلني سرور جنوني لا استطيع له وصفا . اما هو فكان حسب عادته يغط في نوم عميق لا كنزم الحيوان الاعجم .

ما كدت ابلغ سريره حتى رفعت يدي بالمسدس محاذاة لصدغه . هل كان يتظاهر بالنوم . او هل انتبه الى وجودي . وفطن الى ما يجول في خاطري .

في هذه اللحظة الرهيبة تماما رفع اجيديو يده فصدمت كفه قناة المسدس كانه يريد ايقاف الطلقة او تحويلها الى غير جهة . ثم لم اعد اعرف ماذا جرى. هل هي الصدف. ام ماذا ؟ انما الذي اعرفه حقا هو ان رصاصة انطلقت من مسدسي ..

اشعلت المصباح ويداي ترتجفان. القيت بنظري الحائر على السرير فوجدته ملوثا بالدماء . لقد اصابت الطلقة كف اجيديو فثقبتهاواجتازتها.

— اندريا . اندريا . ما بك . ماذا اعتراك .. لماذا .. لماذا .. ماذا جنيت لك من الاثم . الم نكن اخوين مثل ما يكون الشقيقين ؟ وانت الان تريد قتلي . لماذا يا اندريا فعلت هذا ... ما الدافع ، ما السبب ، ما الدعي .. — قال هذا اجيديو واجهش بالبكاء كالاطفال وهو يتحسس اعضاءه عضوا عضوا ولا يكاد يصدق بانه لا يزال على قيد الحياة .

في هذه الاثناء وصلت زوجتي والذعر قد استفحل في جميع اجزائها . فتلقاها اجيديو بوجه هادىء بعد ان مسح بضع دمعات جادت بها عيناه لمثل هذه المناسبة . ثم قال وقد جلس في السرير وهو يضغط على جرحه بمنديله :

— لا تجزعي يا سيدتي . حادث تافه بسيط . بالله يا سيدتي لا تحدجيني بعينيك الملتهبتين ... لقد آن الاوان كي تعرفيني حق المعرفة .. عليك الا تجزعي وتخافي .. لن اخبر احدا بما جرى . اقسم لك بشرفي ، لن يدري احد بهذا الحادث... سأحمل سره في صدري حتى اللحد ... ما اسخفني وما اعقني لو فكرت باخبار دوائر الامن العام بالحادث . واسخف من ذلك ان اقيم على زوجك ، صديقي الحميم، دعوى اغتيال وقتل عن سابق تصميم ... كلا . كلا . لن افعل شيئا من كل هذا الذي ذكرت . ولو فعلت لكنت في مصاف البشر المنحطين في الدركات... كيف اجرأ على التفكير فقط بذلك وقد لاقيت منكما من حسن الضيافة والكرم والمساعدة مما لا استطيع نكرانه او افيكما بعض حقه .. اطمئنا معا ... سيبقى هذا السر دفينا بيننا . ثقا بصديقكما المحب لكما جميعا ..

★★★

لقد ملكني الان . فانا عبد رق له. لقد اصبح المنزل منزله . فهو الذي يأمر بالوان الطعام للغداء والعشاء . وهو الذي بيده حسابات المتجر والاسرة . كانت زوجتي تفهم كل هذا وتعتصم بالصمت . ولقد اصبحت لافتة متجري ، بعد ان عدلتها ، تحمل هذا العنوان : «فيلاري وموللا» اي اسمي واسمه. هذه هي الحقيقة الراهنة . او هذا هو الواقع الاليم . منذ امس اصبح اجيديو موللا شريكي . شريكي في كل شيء بموجب سندات رسمية ، قانونية . كلانا له نصف المحل . وهو لم يدفع فلسا واحدا ، ولم يقدم طلبا لا شفهيا ولا خطيا بصدد ذلك .

انه لا يزال كما عهدته في اول يوم تعرفت عليه : وجلا خائفا ، متواضعا، مترددا خانعا . فاذا اجتمعنا معا لراحة ، او حديث ، او غير ذلك ، ولا ثالث بيننا ، فقد كان يحدج بعينيه الوسختين اللزجتين عيني . ثم ينقلهما الى الجرح في يده والذي لم يندمل بعد . ثم يعيد الكرةولكن عكسية فينقلهما من جرحه الى عيني. ويبتسم بخبث وهدوء . هذا الهدوء المصطنع الذي يكفي ذرة منه لتؤجج في ثورة لا تخمد اوارها الا الدماء . ولكني فسل . ضعيف المروءة جدا. فاسكت على الطعنة واعتصم بالصمت ازاء كل هذا . وتتحطم اعصابي احيانا ، وتتجاذبني عوامل وعوامل.. اما هو فكانه كان يقرا كل ما يجول بخاطري . فيبتسم مرة اخرى بهدوء اشد وكأن لسان حاله يقول : الم تر كيف صفحت عنك .

فاغمض عيني واغيب عن الوجود ولو لحظة من الزمن ...

مصطفى آل عيال

في شتاء الذكريات

الى بني

لنذير الحسامي

من رابطة الكتاب العرب

اللاذقية

أوجهك أم هو فجر أطـلا ؟
ضياء ، بعينيك ، هل شبابـي
بني ، وأحبب ، بك ، اليوم ضيفا
صحبت الربيـع وأزهـاره
وهمت ، مع الفجر ، أغزل ، منه
وعشت، مع الطير، أسكب دمعي
فلم أجن أعذب ، منك ، مذاقـا
ولم ألق أفتن ، منك ، حبيبـا
شفاف الفؤاد كساؤك عنـدي
تذوب حشاشة نفسي ، اليـك ،
وتغفوا العيون ، وقلبي اليتيم
سمائي تزهو ، على شفتيـك ،
ورش طيوبك ، في مقلتـي
طويت سبيل جنوني ، وعدت
ونفضت ، عني ، غبـار الاماني
فداء لخلدون لابني المفـدى
أتيت ، وفي كبدي ، مأتـم
جراح ، على الحب ، تنزف حرى
اذا نمت عنها ، استفاقت تغنـي
فمالي أحس دموع شقـائي
حنانيك ، يا ابني ، أعن وحدتي
ولست بشاك ، اليك ، همومي
لمحيـاك أفرش عمري ، بساطا
ضممتك ، يا ابن رجائي ، لتندى
وصنعتك ، لي حلمـا شاعريـا
قطفت ، من الورد ، شوك الجفاء
بعثت،من الغيب، أمسي النداء(١)
خلعت ، عليها ، نعيم الليالـي
ورتلت ، فيها ، صـلاة الجمال
فكيف جزتني ؟ سل الدمعياابني
تعال ومد ، الى السهم ، كفـا
نسلتك صنوي ، وفـاء وودا
تعال ، الى جانبي ، يـا بني

وسيان ، يا ألف أهلا وسهـلا
وغرد نشوان لمـا استهـلا
تحل اماني الهوى ، حيث حلا
وذقت الصبابة ، عـلا ونهـلا
نهـارا وينسج ، مني ، ليـلا
لتسقى ، وأشرب منه الاقـلا
وأطيب ودا وأحسن حمـلا
ولم أر أحلى ولم أر أغـلى
ووردك روحي ، فخذ وتمـلا
حنانا ، وتبذل ، دونك ، بـذلا
يمد وينشر ، فوقـك ، ظـلا
فغرد ، فأنت بحبي أولـى
رنوت ، فأي صبـاح تجـلى
وحيدا ، وكان جنوني عقـلا
لالقـاك أصدق عهدا وسؤلا
حبيب تولى وخدن تخـلى
تنوح ، لديه ، الاماني ، ثكـلى
فـلا هي تهدا ولا هو يبـلى
وتقتل سلوى الصبابـة قتـلا
على بسماتك ، تضحك جذلـى
فأني أراك ، لعوني ، أهـلا
لقد صرت هما ، لنفسي ، وشغلا
وأسخو ، بقلبي ، شرابا ونقـلا
على جانحي ، رخـاء وطـلا
ورحت أناغيك ، في المهد ، طفلا
فكن ، في الهوى ، ياسمينا وفلا
فلم أر أمك الفا وخـلا
وطوقتها ، بالمحبـة ، غـلا
وزدت على وجد قيس بليـلى
فدمعي ، من السهم ، ما زال يقلى
فقد يستحي السهم منك ويجلى
فلا تك وغدا ولا تك نـذلا
أتختـم ، فيك ، الرواية فصلا

١) اشارة الى قصيدة لي عنوانهـا « ابني يتكلم » نشرت عـام ١٩٤٦

الشاعر تامر الملاط

بقلم يوسف يعقوب مسكوني
عضو رابطة الادب الحديث بالقاهرة

من فحول شعراء لبنان وادبائه الفطاحل وهو تامر بن يواكيم بن منصور بن سليمان طانيوس اده الملقب بالملاط ووالدته عطر ابنة شبلي ابي باغي الملقب بالحسون واسرة ملاط مشهورة في جبل لبنان . شقيقه شبلي الملاط الشاعر الفذ المشهور وقد ولد تامر من والدين وجيهين في بني قومهما في اواخر سنة ١٨٥٦ م في قصبة بعبدا مركز حكومة لبنان يومئذ فترعرع في حجر والديه على المبادىء القويمة وتلقى العلم في مدرسة دينية في كسروان فدرس فيها آداب اللغة العربية والمنطق واللاهوت والفلسفة واللغة السريانية حيث اظهر في تلك المدرسة ما اعجب اساتذتها ومديرها ثم دخل احدى مدارس الحكومة في اهدن لا ليدرس فيها بل ليعلم فسكب القطرات الاولى من علمه وآدابه على عقول احداث فاحبه اهل ذلك البلد الطيب . ثم دعي الى معهد غزير المعروف بالمزار فاقام فيه زهاء سنتين وفيه الف روايتين احداهما من نوع (التراجيدي) والثانية من نوع (الكوميدي) فبدا نجمه في صعود وسعود حيث حمل المتخرجون عليه من اوائل شعره قصائد لا يزال الكثيرون يذكرون منها قصيدته التي اوائلها :

رنت على نغم الحجاز قصائدي — فاسمع رنين غوازلي وحواسدي
خذها يضيق بها الزمان مسالكا — ولها صهيل صوافن وشوارد
من كل معنى لو تجسم لفظه — نظمت منه فرائدا بقلائد
والشعر عنقاء المغارب قلما — ظفرت به كف الكريم الرائد
نهب الالى سلفوا معانيه فما — تركوا سوى ذكرى رسوم معاهد
وعلى الرسوم ترى القلوب حوائما — والناس بين مسابق ومجاهد

ثم نزح الى بيروت في ابان نهضتها الادبية فانخرط في سلك مدرسة الحكمة المارونية التي انشأها المطران يوسف الدبس مؤلف تاريخ سورية المشهور النادر فاقام فيها مدة ثم صار مديرا لمدرسة اليهود وفيها الف روايتين ايضا طوتهما ايدي الضياع كما طوت الروايتين السابقتين ثم قرأ الفقه على الشيخ يوسف الاسير فدعي بعد ذلك الى خدمة الحكومة اللبنانية فصار رئيس كتاب محكمة كسروان وكان قائمقامها المرحوم الامير نجيب جهجاه شهاب الدين الذي كان يحب الشاعر تامر محبة صادقة فلما توفي الامير نجيب رثاه بقصيدة من معجزات الشعر ضمنها تاريخ الاسرة الشهابية منذ اول عهدها بلبنان وقد فقدت هذه المرثاة التاريخية ولم اجد في مقدمة ديوانه المطبوع سنة ١٩٢٥ في المطبعة الادبية في بيروت مع الجزء الاول من ديوان اخيه شبلي الملاط سوى ابيات مذكورة فيه هذا مطلعها وابيات منها قال :

صرف الزمان استرح ولتهجع النوب — مضى الذي كنت تخشاه فتنقضب

ثم يقول له :

يبكيك ميت وانت الحي في اثر — فاعجب لحي عليه الميت ينتحب
لم يبق لي تكد الايام جارحة — تدمي ولا مدمعا بالبث ينسكب

ثم يقول :

يحييك منهم البـاء اذا ذكـروا — ترنح الشـرف الوهـاج والادب

ثم ارتقى الى عضوية محكمة زحلة فحصلت بينه وبين قائمقامها محمود باشا اليوسف من اعيان الشام مودة فمدحه كثيرا في شعره بقصائد منها قصيدتان الاولى يهنئه فيها بالعيد الاضحى مطلعها :

اصباح وجهك ام صباح العيد — ورنين حليك ام رنين العود

ثم امتدحه بتائية استهلها بهذه الابيات الفريدة قال :

فؤاد مضناك يا فتان مفؤود — ونوم صبك يا نعسان مفقود
اعر جفوني من جفنيك تكرمة — بعض النعاس لعل النوم مردود
او خلني وسكون الليل يؤنسني — وصاحباي به دمـع وتسهيد
لا عاش قلب خلي لا ينوح علي — غصن ولا كبد لم تصبها الغيد

وله في واصاباشا قصائد عدة منها قصيدة يهنئه فيها بقرانه اذكر مطلعها فقط قال .

ما قلت لا ما قالت الايـام — فالامر امرك والـزمان غـلام

ثم نقل من زحلـة الى عضوية محكمـة الشوف

وقائمقامه وقتئذ صديقه نسيب بك جنبلاط فمدحه بقصائد منها القصيدة الدالية التي مطلعها .

اعيدي اللوم عاذلتي وزيدي … وهاتي ذكر فاتنة العميد

والاخرى بائية قال منها يهنئه في قرانه وحبه لشريكة حياته :

رقبت النجم تانف ان يغيبا … كانك ناظر فيه الحبيبا
واسهدت الجفون مقرحات … تمازج بالدموع دما صبيبا
واخفاك الهوى العذري سقما … فما تخشى العذول ولا الرقيبا
وذوبك الغرام جوى ووجدا … وحسب الصب مثلك ان يذوبا

الى ان يقول :

حياتك ان تموت وانت رق … لرقة اهيف ملك القلوبا
ومن يعشق تهذبه الليالي … فلم يك عاشق الا اديبا
وما كل يرى في الحب عذرا … ولا كل يلام اذا اصيبا

ثم يعبر عن حاله :

فلم ار عاشقا مثلي شجيا … ولم ار مثل من أهوى حبيبا
نفور في تجنبه ظلوم … يعد علي انفاسي ذنوبا
ومعتدل القوام نحيل خصر … يحاكي قده الغصن الرطيبا
وقفت الشعر محبوسا عليه … فلم امدح به الا نسيبا

ثم رقي الى رئاسة كتاب دائرة الحقوق الاستئنافية فاظهر فيها بلاغة وسبكا نال بهما الاعجاب فانهالت عليه رسائل المدح على حسن قيامه بذلك . الا انه لم يخل من حساد ومنافسين فوشوا به واتهموه بما ليس فيه ولا من شيمته فاعتزل الخدمة وبقي في داره قابعا حيث اضطربت قواه العقلية اثني عشر عاما فظل عاجزا مريضا عن كل عمل الا عن نظم الشعر والمطالعات الادبية لكنه لم يدون شعره في تلك الحقبة الا ما يدونه الاصحاب والاقرباء بعد سماعهم منه ولهذا فقد فلتت قصائد وابيات جمة من ديوانه ضاعت ولم يعثر عليها فكان ديوانه صغير الحجم ولعل المفقود اكثر من الموجود . اما قصائده في ديوانه فهي طويلة مما يدل على قوته في النظم دون تكلف حتى ان منها ما يربو على السبعين بيتا فقد نظم قصيدة ذات اثنين وخمسين بيتا يعاتب فيها أخاه شبلي وقد اخذ منه قاموس محيط المحيط وابطأ في رده اليه بعنوان من شقيق الى شقيق .

ومن أطول قصائده داليته تربو ابياتها على المائة عنوانها (نظرة في الحاضر والغابر) فيها عرض تاريخي للحياة والزمان هذا مطلعها .

انه فما تحت السماء جديد … مثل الخوالي قابل وعتيد

ومنها ايضا :

خلق الاسى ترب السرور ومثله … خلق النواح وتربه التغريد

ومن غزله البديع قصيدته بعنوان (الشامية) تناقلتها صحف ذلك العهد ومجلاته قال :

روحي فدى ظبيات الشام والشام … ولو كلفن ولوعات باعدامي

ثم يقول منها :

يا ظبية زودتني نظرة تركت … روحي تسيل على اطراف اقدامي

وكذلك يقول :

مكسور جفنك لو جردت بائره … يبري صحاح المواضي بري اقلام
لو تعرضين لذي مسح بصومعة … في القوس منقطع بالنسك قوام
اعطاك اجمع ما صلى مناجزة … بنظرة من صبيح منك بسام
وراح يمسح عثنونا وعنفقة … تيه المقامر لاقى نجح ازلام

ثم يخاطبها :

يا ظبية الشام ردي قلب متيئس … او شاركيه بوجد جارح دام
ولست اطمع في قرب نحلت به … خوف احترامك في مستوقد حام
اصبحت جذوة نار تلتظي لهبا … ستبصرين رمادي بعد ايام

ويمدح زوجته التي لها كل الفضل في العناية به وخاصة في ايامه الاخيرة بقصيدة عصماء اذكر منها هذه الابيات :

لك لا لغيرك قد رهنت فؤادي … فلانت غاية منيتي ومرادي
لم انس ما اوليتني من منة … في حين حاربني الزمان العادي
لو ان اخلاق الحسان تجسمت … كانت صفاتك حلية للهادي

كانت وفاة ثامر الملاط في يوم الاحد الموافق ٢٧ كانون الاول من سنة ١٩١٤ م وقد بلغ الثانية والخمسين من سنيه فمات شهيد القضاء في لبنان فكان من فطاحل شعرائه وكتابه وخطبائه وابعدهم شهرة وقد رثاه يوسف خطاب غنم بقصيدة تربو ابياتها على الستين وكان من اعز اصدقائه مطلعها :

هل بعد ثامر شاعر يتكلم … هاتوا فصاحة ثامر وتكلموا
امفارق الدنيا وذكرك خالد … وعليك كل مخلف يترحم
هبني بيانك كي اسدد منطقي … لرزيئة فيها المفوه ابكم

وفي الختام يقول :

وتذكروا هذا الشهيد وودعوا … شمس الذكا وعلى الفصاحة سلموا
هذا ضريح فيه نابغة ثوى … فارثوا النوابغ في الثرى وترحموا

بغداد — **يوسف يعقوب مسكوني**

من الشعر الاسباني المعاصر

ماريا تريزا دياز فالكرسيل
Maria Teresa Diaz Valcarcel

ترجمة محمد العربي الخطابي
تطوان ــ مراكش

شاعرة اسبانية شابة ، ولدت في برشلونة (كاتالونيا) ودرست في جامعتها ،وهي تميل الى التجريد في اشعارها . لها قصائد كلها شك وحيرة وتشاؤم يقلقها البحث عن الحقائق المجردة ومعرفة اسرار الكون والوجود .

غـــدا ...

لو ان الشمس لا تغرب كل مساء
فاين كانت تبيت ؟
ربما احتضنها مضجع النهر ،
وقد تنام
فتطفىء ضياءها في الغسق ،
وتستسلم امام رهبة
الليل البهيم
سنطلب العدالة
غـدا
حينما ينفلق الصبح من جديد ،
ويبدد النعاس
اطيافه الدافئة
سوف نعود ،
للبحث عن الغلال الضائعة ،
لنغمس ايدينا في النار
ونتركها تذوب
اذا لزم الامر ،
ودخلنا بذلك
في مستقبل من النسيان ،
وتلاشى الماضي الحاضر .
سنحلم ما هم باحثون عنه في نجواهم
سنكون العيون
التي تحيل سرهم البارد
الى رماد
وذاك البحر الذي يرغب فينا ويرغب عنا ،
سيصبح حقلا للزهر الاصفر
ينتظر النداء
ويترقب الاشارة .
من يدري ؟
من يدري ما قد تصنعه
الشمس ، لو لم تافل كل مساء
اين كانت تبيت ؟

لا استطيع ان ابتسم

ان ليل الوجوم هو ليلي ،
وشفق الشمس ايضا شفقي .
لقد ابدل عشب المروج ، منذ زمان
لونه الاخضر المذهب
بلون آخر يتسجم مع رؤاي ،
اشد حلكة ، وكآبة ، وقتوما .
ان انعكاسات الضحى
التي تغري بحياة اليوم الجديد ،
تتكسر في موت سكوني ؛
واذ تريد ان تحمل الي اضواءها الشفافة ،
لا تجد في مقلتي غير الدموع .
الابتسامة لم يبق لها وجود ،
لا في الهدوء المتكدر لروحي الساجي ،
ولا في تلك الافكار التي تكشف
عن الادبار البين لعقلي .
انك تسألني ريعانا في الافكار
لا املك ان اقدمه بين يديك .
القمر كان مرآتي فيما مضى ،
وسناؤه كان نورا لوجداني .
ونظرته الشفافة من السماء
كانت تمجيدا حارا للعفاف .
لقد نظمت الف عقد من النيرات ،
وطهرت نظرتي في النجوم ،
اما اليوم فاعلم ، ان ضياء السماء
ليس الا فكرة ،
ليس الا سرابا .
السماوات حبست عني كمتها ،
ولا زال ندائي يترنح في السحب ، مبهما
مترددا ، جدبا .
غير ممكن .. ما اظن اني استطيع
ان اعود فابتسم بامل .



ثلاثون قصيدة

لتوفيق صايغ – مع مقدمة لسعيد عقل – منشورات دار الشرق الجديد بيروت

هــذا الديوان من أجرأ وأعمق مــا صــدر في اللغة العربية من شعر . اما الجرأة فهي جرأة اللغة والتجديد ، وهي جرأة تساندها مهارة في الصياغة ، وذوق أكيد في سوق الالفاظ . اما العمق فهو عمق كل عاطفة تكمن وراء هذه الالفاظ . فهي عواطف كالمهاوي تزلق على شفاها الرجل ، وإذا القارىء تحتويه ظلمات من الصراع بين النفس وبين الله ، بين النفس وبــين الحب ، بينها وبــين الكبرياء والرفض .

ونغمة الديوان الضافية دينية بمعنى شامل . وهي اقرب ما تكون احيانا الى صوت داود في مزامــيره ، او صوت قديس ما زال يرى رؤى الشهوات واللذائذ فــي وحشته . وكتابات هذه القصائد مستقاة على الاكثر من الاضداد : الحب والبغضاء ، العــدل والظلــم ، الثورة والاستكانة . وكثيرا ما تجتمع الاضداد في واحد :

« ايها العادل ، انت الراحم
مبعدي واصحي معذبي
انت المحري
انت المحب . »

او :

« وجزرتني فتلويت
أزغرد الآهات ...
سلمت يداك يا معرقبي . »

هذا الصراع بين النفس وبين خالقها ، وهذا الهرب وهــذه الملاحقة التي يعبر عنهــا فرانسيس طمسن في المقطوعة التي تتصدر الديوان :

« انا الذي تبحث عنه ،
لقد طردت الحب عنك اذ طردتني . »

تتخذ شكل الصراع بين النفس وبين موضوع عشقها ، فيصبح الحبيب معذبا ومخلصا ، موتا وحياة ، في آن معا . فكأن الشعر محاولة للتوفيق بين الاضداد والجمع بين الاقطاب ، او محاولة للتوغل في المناطق الفكرية حيث يتعذر التمييز بين النفي والايجاب ، حيث « لا » تساوي « نعــم » :

« وحدي اجتنيت من الشوك تينا ،
وخمرا من الحسك اعتصرت . »

وفي بعض القصائد نرجسية ، لعلها من صفات المبدعــــين التي لا يستطيعون اخفاءها مهما اسدلوا عليها من سجف المخيلة . وحتى هذا الهرب من النفس الملاحقة ضرب من النرجسية تبرز في محاولة الشــاعر فرض وعيه على ما هو فيه ، فيحاول النجاة من ظله في المرآة او الماء – دون جدوى :

« مزقت جواز السفر
اذ رأيت رسمه فيه معي ،
بدلت اسمي اذ انتحله ...
أرخيت لحيتي
ضربت في وجهي الوشم ...
وانتصب في وجهي وقهقه ...

الى أين ايها الشبح الملازمي
الذي رايته ينتظرني بهدوء
بين طيات الميــاه
حين التجات بجنون
الى الصخرة المثقوبة ؟ »

ولعل الجواب على هذا السؤال وغيره من اسئلة تنم عن الضيعة والبحث عن الاتجاه ، لا نجده الا في البيتين الاخيرين من آخر قصيــدة في الديــوان « الى جــون مارشــل » :

« امامك بعد
جب الاسود . »

ففي نهاية الاستغوار التجربة القاسية الكبرى : جب الاسود (والاشارة بالطبع الى النبي دانيال الذي القي في جب الاسود ، ولكنها انصاعت له ورافقته) . فهل يخرج الشاعر منه وقد ازداد قوة على قوة لمجابهة ما يصارعــه من نواحي حياته ، ام يقع بين المخــالب والبراثــن حيث النهاية التي لا رجعة منها ؟

وبين اطواء هذا النزاع – الله في طرفه الادنى والوطن في طرفه الاقصى والمرأة في الوسط ، وكل منها مرآة يرى « نرجس » فيها شبحه – نقمة تتجلى في قول المارد المنطلق من القمقم بين يدي الصياد :

« أم أقول : اختر الميتة التي تشاء ؟ »
« وهل أقول له : انتق العرش الذي تحب ؟

او في قول الشاعر في « نشيد وطني » :

« لكنك اخصيت بنيك
ورأيتهم طأطأوا الرؤوس لذكراك ...
واما اشاح عنك العاشقون

قودت لبنانك
يا بلادي
يا بلادي . »

هذا ديوان فلسطيني عن حق . فان الجو الذي يعبق به ويحيط بمواضيعه النفسية ، هو جو فلسطين وروابيها ، جو الجليل وبحيرة طبريا التي نشأ الشاعر على ضفافها . وفيه عدد من الالفاظ العامية الاصل ، وفق توفيق صايغ في استعمالها فصيحة ، فأضافت الى شعره قوة وديناميه، مثل « نطنطا » و « تشحشطتما » (ما أحسن ما توحي هذه بزحف القدمين المتعبتين ، كما توحي الاولى بقفزات الفرح المتوالية !) . وأثر الثوراة ، ولا سيما الانجيل وأعمال الرسل ، متغلغل في تفكير توفيق الشعري وصوره وأسلوبه ، وقد يجد البعض غموضا في الكثير من ابياته لاشاراتها الخفية الى تفاصيل انجيلية او حياة القديس بولس (كما « في الطريق الى دمشق ») .

والنتيجة التي يخرج بها القارىء لكل من هذه القصائد هي تركيزها الرائع . فكل قصيدة هنا أشبه بالنسيج المشدود المتلألىء . ليس هذا الديوان « حلم توفيق صايغ » كما يقول سعيد عقل في مقدمته ، ولا « الحياة تتشوف الى الحلم » فيه . بل انه على النقيض من ذلك : حياة الشاعر مقطرة في بضعة اسطر . الم السنين الطوال ونشواتها في مصغرات ماسيه . انها حقيقة تجرح فتدمي . انها تثير وتمنع النوم . وهنا قيمتها وخطورتها .

بغداد **جبرا ابراهيم جبرا**

ثلاثة كتب اردنية جديدة :

١ ـ طريق الشوك

لعيسى الناعوري ـ مجموعة قصص ـ ١١٢ صفحة ـ منشورات مكتبة الاستقلال عمان

هـذه مجموعة قصص اصدرها الاستاذ عيسى الناعوري. وتحتوي هذه المجموعة على اربع عشرة قصة ، ظهر اكثرها من قبل في مجلات ادبية . وهي بمجموعها تكاد تمثل لونا واحدا من الاسلوب وطريقة المعالجة ، كما تحاول ان تقص فصولا متتابعة من مأساة انسانية فاجعة ، هي مأساة الشعب العربي في فلسطين .

ومن عنوان الكتاب نستطيع ان نفهم شيئا مما بين دفتيه . فالمؤلف يحاول تصوير حياة تلك الطبقة من الناس التي ولد ابناؤها وليس في افواههم ملاعق من ذهب ، فيضطرهم الفقر والظلم والتعصب كما تضطرهم البيئة الجاهلة الفاسدة الى السير في الدروب الملتوية والطرق المزروعة بالحصى والاشواك .

وهذه المعاني كثيرة وواضحة في مجموعة الناعوري ؛ تراه يبدأ قصته الاولى « تمثال التضحية » بقوله يصف فنانا ، ولعله يصف نفسه هو ونفوس امثاله من الشعراء الفقراء : « لم يكن الفن عنده مجرد تسلية ، ولكنه كان وسيلة لتحقيق اهداف كبيرة في نفسه ومجتمعه ، فلم يكن يتخذه تعبيرا عن نزوات الحب وحدها ، بل كان يعصر في الفن روحه ليسقي من رحيقها شعبه ووطنه ، ويبعث فيها الحماس والعزم والاخلاص » . على ان الصفة الغالبة على القصص تظهر في كونها تكشف عن جوانب مختلفة من نضال العرب في فلسطين وتصور بعض مراحل ذلك النضال .

ولا شك ان مجموعة الناعوري منتزعة من صميم الحياة وواقعها ، وقد نستطيع ان نقول انها صور ومشاهد لحوادث مرت ولا تزال تمر بالكثيرين من ابناء بلادنا . وبيئة القصص اردنية محلية . فانت تجد ذكر القدس ويافا وعمان ، وتقرأ اسماء اماكن عزيزة على القلوب . وربما قيل ان النضوج الفني في هذه القصص لم يبلغ مداه ولكن هذا لا يقلل من قيمة المجموعة التي يجب ان تأخذ محلها اللائق بها بين الكتب التي تسجل هذه الفترة من عمر امتنا ، هذه الفترة القلقة الرجراجة ، التي لم يتكامل فيها بعد احساسنا بالنكبة الفلسطينية .

وقد يكون المأخذ الاول على قصص الناعوري انما لا تترك هامشا يجول فيه خيال القاريء . وهذا الهامش يعد من اعظم المقومات في فنية القصة ، وبفقدانه تفقد القصة عنصرا قويا من عناصرها . ويختلف هذا الهامش ـ ضيقا او اتساعا ـ باختلاف امزجة القصاصين واساليبهم وطريقتهم في معالجة القصة .

على ان الناعوري اديب وافر النشاط دائب التشوف، وانا على مثل اليقين ان باكورته القصصية هذه ستكون فاتحة لقصص كثيرة في المستقبل ، واننا اذا افتقدنا الكمال الفني في بعض هذه القصص فنرجو ان نجد هذا الكمال قد تحقق او كاد في انتاجه المنتظر .

٢ ـ نحن والهند لنجاتي البخاري

قضى الاستاذ نجاتي امين البخاري مؤلف هذا الكتاب عامين في الهند ، وها هو في كتابه هذا يتحدث عن انطباعاته ومشاهداته وعن نهضة الهند الجديدة ، كما يتحدث عن زعامة غاندي ونهرو ، ويقارن بين وحدة الهنود رغم عشرات اللغات التي يتحدثون بها وبين تفرق العرب رغم اللغة الواحدة . وهو يدعو الى احتذاء الهند في سيرها « نحو تحقيق مجتمع عادل يتساوى فيه جميع الافراد في جميع الحقوق والواجبات » .

ويتحدث المؤلف عن الصناعات الناشئة في الهند ، وعن بساطة الهنود في لباسهم وتقشفهم في طعامهم . كما يشيد بمزايا الدستور الهندي ، الذي رفع مستوى خمسين

مليون نسمة من المنبوذين بان ساواهم ببقيـــة الطوائف الاخرى .

ولا يفوته التحدث عن المراة الهندية وعن جبـال الهملايا الشاهقة ومعبد تاج محل المشهور . اما عن صناعة السينما فيقول انما تعد من الصناعات الناجحة في الهند ، ويقارب بين الفيلم الهندي البريء في رقصه وغنائه وفي عرضه علاقة الرجل بالمراة حيث يمنع التقبيل هناك منعا باتا ، وبين الفيلم المصري الذي يقوم عادة على اثارة الغرائز الجنسية .

وخلاصة القول ان هذا الكتاب يحتوي على معلومات هامة ومفيدة عن دولة من أعظم دول العالم ، وارجو ان يلاقي ما يستحق من رواج وتشجيع .

٣ ـ الـه الناس لمحمد الجنيدي

هـذه مسرحية وضعها محمـد سعيـد الجنيـدي . ويؤسفني القول انها لا ترتكز على قاعدة واحدة من قواعد الفن المسرحي ، فليس هنالك عقدة ولا مفاجأة ، والموضوع مشوش غامض والآراء بدائية فجة . وقد لا اكون مغاليا اذا قلت ان الصفـة الوحيـدة من صفات المسرحية التي يمكن ان نطلقها عليها تظهر في كون الاشخاص يلتزمون مكانا معينا يتخاطبون فيه .

اقول هذا لانني انتظر من الجنيدي انتاجا ان لم يكن كاملا كل الكمال ، فليكن قريبا ما امكن الى الكمـال . والمسرحية ليست بالموضوع الذي تصح معالجته بهـذه السرعة والسطحية ، فهي تعتمد على قصة قوية محددة الموضوع لا تخلو من العقد والمفاجآت ، ثم هي تعتمد على ما قل ودل من الكلام ، كما تعتمد على شخصيات تسير مع سير المسرحية وتكشف في حركاتها واقوالها عن معانـي جديدة ذات صلة وطيدة بما تقدمها . ومسرحية الجنيدي تخلو من كل هذا مع الاسف . وحبذا لو استأنى كثيرا قبل دفعها الى المطبعة ، وطالع ما امكنه من المسرحيات الغربية . فالعرب لا يزالون فقراء في هذا الفن . ومـن الضرورة اللازبة على من يود التصدي لموضوع ان يلم منه لا بطرف واحد بل باطراف عديدة : هذا اذا كان يقصد ان ينتـج شيئا يستحق القراءة والتقدير .

الاردن ــ المفرق **سليمان موسى**

امتزاج الاجناس البشرية *

منشورات اليونسكو باللغة الانجليزية ــ ٦٠ صفحة ــ طبع في بلجيكا

ان ظاهرة امتزاج الاجناس البشرية ظاهرة قديمـة قدم البشرية ذاتها ، ولكنها على الرغم من ذلـك قد اورثت العالم الحديث مشكلة معقدة ، بالنظر الـى تضخم عدد الشعوب المجنسة من ناحية ، ثم الى ظهور نظريات (درجات الاجناس البشرية) من ناحية اخرى ، وما يتبعها من جعل الشعوب المجنسة اوضـع من غيرهـا ، واخضاعها بالتالي لنظم اجتماعية واقتصادية وسياسية اقل تقدما . على ان هذه النظم والنظريات لا تستند على اساس علمي صحيح ، وهذا ما تثبته دراســة حديثة لليونسكو بعنوان (امتزاج الاجناس البشرية) ، وهي احدى حلقات السلسلة التي تصدرها المنظمة بعنوان (المشكلة العنصرية في العلم الحديث) . وقد وضـع الدراسة الاخيرة الاستاذ هاري شابيرو ، رئيس القسم الانتروبولوجي بمتحف التاريخ الطبيعي بنيويورك .

وتبلغ نسبة الشعوب المجنسة في العالم ٢،٥٪ مـن مجموع البشرية ، ويشير الاستاذ شابيرو في مقدمة كتابه الى العوامل التاريخية والجغرافية التي دعت الى تداخل الشعوب منذ فجر عصر الاكتشاف ، اعني منذ ما يقرب من خمسة قرون مضت . ويعلن المؤلف « ان اعتبـار امتزاج الاجناس عملية بيولوجية انما هو اعتبار وبيل » . ولهذا الاعتبار من الناحية المسيكولوجية نتائج جدليـة بحتة ، ولكن ليس هنالك اي دليل علمي على « نقص » او « انحطاط » الشعوب المجنسة .

هذا ، ويحلل المؤلف مختلف مظاهر مشكلـة امتزاج الاجناس ، فيتناول الوعي العنصري والتسابق والثقافة واثار الاستعمار ، ثم يضرب امثلة متعددة ليؤيد بها دفاعه العلمي .

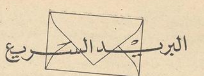
استخدام اللغات القومية في التعليم

منشورات اليونسكو باللغة الانجليزية ــ ١٥٦ صفحة ــ طبع في سويسرا

يصيب التعليم في مدارس الاطفال والراشدين الاميـين نجاحا كبيرا اذا استخدم اللغات القومية وسيلته . على ان هنالك مشاكل صعبة معقدة تقف ازاء تحقيق هذا النوع من التعليم ، ومـن اهم هذه المشاكل وجود مئات من اللغات تفتقر الى ابجدية كتابية او الى قواعد ومفردات وآداب مدرسية يمكن الاعتماد عليها في التعليم .

وقد أصدرت اليونسكو كتابـا في ١٥٤ صفحة يتناول هذه المشاكل بالدراسة والمقارنة . والكتاب عبارة عن تقرير عن اجتماع للخبراء عقدته اليونسكو في باريس خلال شهري نوفمبر وديسمبر عـام ١٩٥١ ، لمناقشة الوسائل التي تكفل التغلب على بعض المشاكل الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والعملية . والكتاب الى كل هذا تحليل لهذه المشاكل وبيان لها ، وتحديـد لموقف اللغـة وعلاقتها بالسياسة التعليمية .

وتدور آراء هؤلاء الخبراء حول سؤالـين ، يتنـاول الاول الظروف التي تسمح باستخدام اللغة القومية فـي



● الى الشاعر العراقي ك.س . ــ نزيل باريس

ان قصيدتك « غدا » تحول دون نشرها اسباب قاهرة انت ادرى الناس بها ، فاذا كان المقصود من ارسالها الينا للاطلاع عليها فهي جميلة وقوية ، تهانينا .

● الى السيد حكمت عبدالله الزيباري ــ اربيل ، العراق .

تشكر لك « الاديب » اعجابك وافتخارك بها ، وهي تعاهدك على ان تظل صوت الجيل الجديد . ومن فوق منبرها تنشر المباديء والتعاليم التي تؤثر في رقي الامة العربية ونهضتها .

اما عنوان مجلة « الثقافة الوطنية » فهو : بيروت صندوق بريد رقم ٢٥٦٠ وللحصول على اعدادها كاملة يمكنك الاتصال بادارتها .

اما عنوان مجلة « الحديث » فهو : حلب ــ سوريا وهذا يكفي .

● من « رابطة النهر الخالد » القاهرة

تعلن الرابطة « مع تقديرها واحترامها للشاعرة جليلة رضا » ان ما جاء بمقدمة ديوانها « اللحن الباكي » من انها رئيسة لها لا نصيب له من الصحة وان الرابطة لا رئيس لها .

● الى ادباء السودان

الرجاء الاتصال بالدكتور احسان عباس الاستاذ بكلية الخرطوم الجامعية ، في جميع الشؤون التي تتصل بالمجلة ، من ادبية وسواها .

● الى مشتركي الاديب في الولايات المتحدة وكندا

يرجو الشاعر الاستاذ نعمه حاج وكيل مجلة « الاديب » في الولايات المتحدة وكندا ، من مشتركيها فيهما ان يتلطفوا بارسالهم اليه بقيمة الاشتراكات المستحقة . وهذا عنوانه :

Mr. N. A. Hodge
240 Asbury Ave.
Grennville, SC. U.S.A.

● من الآنسة سلامة حجاوي ــ بغداد

كتبت تعليقا حول « مقالة الشباب » للدكتور جميل صليبا المنشور في عدد يناير ١٩٥٥ من مجلة الاديب ذكرت فيه ان الكاتب المحترم قد عبن الداء ولم يذكر الدواء ، وانها صدمت عندما وجدت ان هذه المقالة ما هي الا وعظ مصبوب في قالب حسابي ، وانها من الطراز القديم الذي درج عليه اجدادنا « صن شبابك وابتسم وهكذا ... »

وتقول : « انني شابة وحولي شباب كثيرون ولكننا ويا للاسف كلنا مرضى ، كلنا عيوننا زائغة ، كلنا نبحث عن اكسير يعيد لنا شبابنا . لسنا نريد وعظا وانما نريدحلولا فعليةلمشاكلنا تدرأ عنا شبح الياس والانحلال».

● الى كتاب « الاديب »

الرجاء الكتابة بخط واضح مع تنقيط الكلمات ، فان عامل المطبعة كما لا يخفى عليكم قد يجد صعوبة في قراءة الكلمات التي لا تكون واضحة وضوحا تاما ومن المستحسن كتابة المقالات على الآلة الكاتبة ، وعلى وجه واحد .

نؤكد ثانية ان المقالات التي ترسل الى الاديب لا تعاد الى اصحابها نشرت ام لم تنشر .

ــ نعتذر عن نشر المقالات التي تبحث في اللغة وتكثر فيها «الحركات» لان المجلة تطبع بطريقة « الليلنوتيب » مما يتعذر معه وضع « الحركات » المطلوبة .

● الى السيد حسن يزبك ــ اللوكا ، سنغال

بوسعك ان تطلب نسخة من ديوان « اباريق مهشمة » للشاعر عبد الوهاب البياتي من دار بيروت للطباعة والنشر ــ بناية اللعازارية ببيروت فقد قامت الدار المذكورة بطبع الديوان طبعة ثانية باخراج فاخر .

● من الاستاذ عيسى الناعوري ــ عمان

حدث في اوائل الشهر المنصرم حادث مضحك ، فقد وصلت الى وزارة المعارف برقية جاء فيها : « سنصل الى مطار عمان في الساعة العاشرة صباحا ، وسنتشرف بمقابلتكم في مكتبكم .»

وكان التوقيع (البير ديب) ، فدعاني وكيل الوزارة ورئيس الديوان وسألاني عمن طلب الى « الاستاذ البير اديب » الحضور ، وما هو الداعي الى حضوره ؟

ولقد ظننت مثلهما ان في الاسم خطأ ، وانك انت صاحب البرقية ، ثم تذكرت ما كان يرد اليك من اسئلة حول هذا الالتباس بين اسمك واسم البير ديب [راجع عدد ديسمبر ١٩٥٤ باب البريد السريع] ، وبعد البحث ظهر ان الاخر هو القادم .

● من الاستاذ زكي محمد الجابر ــ البصرة ، العراق

كتب كلمة يرد فيها على كلمة الاستاذ ناظم توفيق المنشورة في بريد الاديب عدد فبراير وقد رأينا الاكتفاء بالاشارة اليها لانها مشابهة لكلمته التي سبق ونشرها في عدد يناير الماضي .

● الى الاستاذ نصر الدين الجرة ــ دمشق .

قصتك جميلة غير انه يستحيل علينا نشرها لاسباب سبق وشرحناها مرارا على صفحات هذه المجلة .

● من الاستاذ انسي لويس الحاج ــ بيروت

وقع خطأ في مقالنا السابق عن شوبان في الصفحة ٣١ فبدلا « لكنت فرت منه » يجب ان يكون لكنت « نجوت » والخطأ ليس من الترجمة بل من الاصل المترجم عنه . وقد وقع في يدي مؤخرا الاصل الصحيح وهو مجموعة مراسلات جورج صاند نفسها ، فقرأت الجملة على هذا الوجه Je serais sauvée لذلك اقتضى التصحيح والاعتذار .

● من الاستاذ محمد المهدي ابو حامد ــ طرابلس الغرب

كلمة ثناء وتعليق على قصة الانسة روز غريب « الحقيبة » المنشورة في عدد يناير الماضي نكتفي بالاشارة اليها فقد سبق ان نشرنا تعليقا عليها للاستاذ توفيق حنا في عدد مارس السابق .

● الى السيد م.س.ص. ــ البصرة ، العراق

للشاعر ميشيل بشير مجموعة شعرية باسم « غروب » واننا نجهل عنوانه الحالي ونامل ان يكتب الينا لنتمكن من افادتكم عنه في عدد قادم .

● من الاستاذ اكرم متري حمارنه ــ اربد ، الاردن

كتب في عدد مارس ويقول بانها تفتقر الى كل مقومات القصةالقصيرة ينتقد قصة « طريق الشوك » للاستاذ عيسى الناعوري المنشورة من حيث الهيكل والاسلوب والفكرة وان الروح الغالبة عليها هي روح الياس والقنوط مع اننا بحاجة لايجاد الايمان والوعي الصادق بقوتنا ومقدرتنا على استرداد حقوقنا وبناء غدنا بانفسنا .

جولة الأديب في شهر

وليمة مينرفا

للدكتور احمد زكي ابو شادي

✳

تمهيد

كانت ولا تزال الهة الحكمة الرومانية (منيرفا) Minerva كتوأمتها الاغريقية (اثينا) Athena مبعث الهام وتفكير برمزها العالمي للمعرفة والتفكير ومن ثمة اتخذتها حركة البعث للادب العربي في امريكا منذ سنوات شعارا لرابطتها ، فظهرت آثار قيمة شتى لاشياعها في الصحف والمجلات الراقية في العالم الجديد وخارجه ، وكان الاهم من النشر الكتابي الاذاعة الاثيرية التي لم تكن معروفة بصورتها الحاضرة في عهد (الرابطة القلمية) في العقد الثاني من هذا القرن . وهكذا استطاعت (رابطة منيرفا) مستقلة ومتعاونة باقلام اعضائها في (صوت امريكا) ان تؤدي للثقافة العربية خدمات فذة منوعة غير مسبوق اليها لا كما ولا كيفا ، وقد اصبح (صوت امريكا) بمثابة اكاديمية حية لهذه الثقافة تتسابق صحف ومجلات شتى لنشر احاديثه .

وسواء اقل في امريكا ام زاد عدد المتكلمين بالعربية فان الخدمة الرائدة التي يقوم بها اعضاء هاتين الهيئتين — مفترقين ومجتمعين — وطيدة حية . انهم يقدمون دائما وليمة فكرية روحية شهية تشمل الاداب والفنون والفلسفة والشعر واللغة والقصة والمسرح بل وضروربا أخرى متعددة من الثقافات . وهذا الخصب الوافر ميسور جميعه للصحافة العربية الاميركية ، وكاف لان تزدان بها حقولها دون انقطاع ، بحيث اذا صحت لها الشكوى فمن الغنى لا من الفقر ، هذا اذا لم تغمر حقولها بسفاسف الطائفية ، وحينئذ يكون الوزر وزرها .

واسهاما متواضعا منا يطيب لنا ان نتقدم بين وقت وآخر بطرائف منوعة من « وليمة منيرفا » لعلها تستثير عناية ابناء العربية (حيثما سمعت او قرئت) للحفاوة بها وبتراثها ، ولن يحصر اي اعتبار غير الوقت أفق تفكيرنا وتأملاتنا موضوعاتنا ، وليس لهذه الوليمة من ثمن غير تبادل المحبة والثقة والتجاوب . واملنا أن تصبح هذه السلسلة مرجعا محترما للناظرين في الادب المهجري المعاصر على الاخص .

واهب اولاده

✳

خرج عبدالله بن جعفر الى ضيعة له ، فنزل على نخيل قوم يرعاه غلام اسود . فجيء الغلام بثلاثة اقراص من الخبز لطعامه . فدخل عليه كلب حتى دنا منه ، فرمى اليه بقرص فاكله ، ثم رمى اليه بالثاني والثالث فاكلهما وعبدالله ينظر اليه ، فقال : « يا غلام ! كم قوتك كل يوم ؟ » قال : « ما رايت ! » قال : « فلم آثرت الكلب ؟ » قال : « لان ارضنا ليست بارض كلاب ، واخاله قد جاء من مسافة بعيدة جائعا ، فكرهت رده » قال عبدالله : « فما انت صانع اليوم ؟ » قال : « اطوي يومي هذا على جوع ! » قال عبدالله بن جعفر : « والله هذا لاسخى مني ! » ثم اشترى عبدالله النخل والعبد واعتقه ، ووهب له النخل !

وعندنا ان الاسخى من الاثنين هو ذلك الشيخ الذي وهب اولاده لخير الانسانية وحرم نفسه متعة عونهم وانسهم في أمس حاجته الى ذينك العون والانس ونعني به الاديب المهجري النحرير الاستاذ ديب نعوم ليون الذي تتلألأ آثاره — على الرغم من علو سنه — بالمعية وضاءة رائعة تتجلى على صفحات (الهدى) و (السائح) . وقد اذاع (صوت امريكا) من قبل نبأ تبرعه بمكتبته القيمة الى بلدة زحلة في لبنان ، وما كتبه الا اولاده ، وقد تخلى عن اولاده لخير العامة حيثما هو غير مستغن عنهم لا صحبة ولا سندا. ونحن كلما تأملنا في هذا الصنيع الجليل اخذ منا الاعجاب به كل مأخذ ، لان الرجل قام به دون ضوضاء ودون من على احد ، وهو أكرم من ان يمن على احد ، وعلى الاخص اذ هو يشعر بقيامه بواجب انساني هو تحرير الفكر من قيود الجهل دون اي مغنم مادي لنفسه بل ولا غير مادي ، راضيا بالتقشف كحظ كثيرين من المفكرين المتصوفين . ومرددا معنا :

حسبي التجارب في دنياي افهمها	وان تدق ولم تكشف لافهام
حسبي شعوري بان الكون اجمعه	يوما سيتلى ويجري فوق أقلام
حسبي على الرغم منهم ومن نصب	اني الطليق ، ولم ارضخ لارغام !

أدب الميكانيكيات

✳

ولماذا لا تقول « ادب السيارات » على وجه التخصيص ونحن ننظر في كتاب عنوانه وموضوعه « انشاء وادارة محطات خدمة السيارات » ترجمة الاديب المصري اللامع الاستاذ وديع فلسطين ، ان العالم الجديد الذي نعيش فيه لا يحصر الادب في التندر والفكاهة والتسلية كما تصنع بعض الامم المتخلفة ، وانما يجعل الادب دراسة

للحياة وتعبيرا عنها، بكل ما في الحياة من ملابسات ومعان واهداف ووسائل . ولو لم نجد اسم «دار المعارف بمصر» لقلنا هذا من المطبوعات الاميركية، وهذه علامة طيبة تشعرنا بالاتجاه المنوع في الادب المصري الحديث الذي يشمل الميكانيكا كما يشمل القصص او الشعر او التاريخ او الفلسفة او الدين او الاخلاق او السياسة او التجارة او الصناعة او غير ذلك مما يعنى به الانسان ويؤثر في كيانه وفي مجرى حياته .

ومع يأسنا من حيازة سيارة في هذه البلاد الغنية قانعين بغناها الاكبر وهو حريتها العظيمة ومعارفها الواسعة المبسوطة، الا اننا تفاءلنا خيرا بقراءة كتاب الاستاذ وديع فلسطين بعد ان كانت احلامنا الشعرية متجهة الى الدار الآخرة، ووجدنا في كل صفحة مسحة القلم الرشيق الميسر صاحب مقالات (سوانح) المشهورة وغيرها من الاثار الادبية السائغة التي تعلو على اذواق معظم الناشرين ومع ذلك يخيل الينا لما نعرفه من دقة الكاتب الفاضل ان هذا الكتاب ليس في مستوى ديباجته المعهودة، كما لمسنا فيه اخطاء موضوعية ومطبعية . فكيف حدث هذا ؟ الم يشرف اديبنا النابه بنفسه على مراجعة الكتاب بعد ترجمته الكاملة؟ ثم اين مصادر الكتاب ؟ امن الجائز ان يكون قد وقع التباس وذكر اسم الاستاذ وديع خطأ على كتاب ليس من ترجمته، وان كانت الترجمة مقبولة ؟! هذا غير عجيب وممكن حدوثه، ما دامت مطابعنا الشرقية او معظمها لا تهمها غير السرعة وقد عانينا من هذه السرعة عندما صدر كتابنا (مملكة العذارى) بين يدي البتر والتشويه لغيابنا في امريكا !

وشنطن — احمد زكي ابو شادي

القروي يرثي امه

✳

كفى الميت منا ان يحس له فقد
ابعد هلاك الجمع يفتقد الفرد
ابعد فلسطين يناح على فتى
وهل بقيت في مقلة دمعة بعد
بكائي على المليون انضب ادمعي
فما انا الا النار والحجر الصلد
وما الحقد من طبعي ولكن اذا بغى
على وطني الباغون فجرني الحقد
ومن شبت النيران حول وليده
فليس له من خوض لجتها بد
وما رد عني عار قومي تأمر كي
فهل انا حقا سيد واخي عبد ؟
سلوا الناسك الدجال ذا الادب الذي
حرارته الا اذا احتك بي برد
اكان يسل السيف ام يسلم ابنه
اذا استله من مهده خاطف وغد
فتبا لمن لم يأل بالزهد واعظا
وفي جيبه كنز وفي حلقه شهد
بزناره « الصوفي » للنقد خنجر
ولكنه للذب عن قومه غمد
الا دمعة من « لاجيء » استمدها
فأبكي بالبحر الذي جزره مد
واندب اما لم يجد مثل حبها
وحبي لها لا الوالدات ولا الولد
يرفه عني انني غير خالد
ومهما يطل عمر الفتى فله حد
طويت اليها الدرب الا اقله
ويرجى التلاقي كلما اختصر البعد
تنازعني حبيك يا ارزة الحمى
بأقصى بلاد سروة تحتها لحد
وحيث تكون الام يا ارزة الحمى
يكون الحمى والارز والقلب والوجد !

الشاعر القروي — « الحياة »

أثر البيئة والمحيط في عبقرية الكاتب

بقلم وليام لوندز

✳

كثيرا ما يستغرب اولئك الذين يزورون بريطانيا الاختلاف البيّن في المشاهد الطبيعية ولهجات السكان وامزجتهم على الرغمْ من ضيق رقعة البلاد . ويلاحظ هؤلاء الزوار ان اهل ديفونشاير يتميزون عن اهل كورنورل من نواح عدة مع ان هاتين المقاطعتين متلاصقتان ولا يحتاج الاجنبي الى وقت طويل كي يلاحظ الفرق بين لهجة سكان ادنبره وسكان غلاسكو مع ان المسافة التي تفصل البلدين لا تزيد على ٤٠ ميلا . وكيف يستطيع كتمان استغرابه عندما ينتقل فجاة من مراعي هيرفورد شاير الخصبة الى اراضي مقاطعة رادنورشاير المجاورة التي لا تكاد ترى فيها نبتة خضراء .

وكان لهذه الفوارق الاقليمية وما تتيحه من امكانيات للكاتب الواسع الخيال اثر بعيد في تطور الادب الانكليزي

خلال السنوات المئة والخمسين الماضية . وقد اظهر عدد غير قليل من كبار الروائيين ميلا الى اتخاذ اقليم خاص من البلاد مسرحا لانتاجهم ومؤلفاتهم ، فقدموا الى القراء صورا حية لهذه الاقاليم وصفاتها المميزة وعادات اهلها . وكل من يطالع هذه الروايات يخرج بفكرة واضحة عن تنوع اساليب الحياة في بريطانيا .

وفي جملة الكتاب المبرزين الذين اتخذوا لرواياتهم مسارح خاصة من اقاليم البلاد السر وولتر سكوت ، وان كانت قصائده الشعرية هي التي تربطه بالبلاد الاسكتلاندية اكثر من رواياته التي تشمل بريطانيا كلها تقريبا فتبعد عن السر وولتر صفة « الروائي الاقليمي » بمعناها الصحيح .

بيد ان هذه الصفة تنطبق تمام الانطباق على طوماس هاردي الذي كتب ما يزيد على عشر روايات جاعلا « وسيكس » «مملكة السكسون الغربيين القدماء ، مسرح حوادثها كلها . وتشمل منطقة « وسيكس » المقاطعات الجنوبية الغربية الحديثة سومرست وولتشاير وهامبشاير ودورسيت — التي هي قلب « بلاد هاردي » — اذ انه ولد على مقربة من دورشستر ، قاعدة هذه المقاطعة . وكان هاردي يتأمل مرابع هذا الاقليم وغدرانه ورياضه عندما كتب اعظم رواياته الا وهي : تس اوف ذي دوبر فيل ، وعودة المواطن ، وسكان الاحراج وغيرها ، واستطاع ان يدمج فيها تاريخ المنطقة وعادات اهلها وتقاليدهم باسلوب فني رائع منمق قلما يجاريه فيه احد .

وعلى عكس طوماس هاردي فقد اختار ارنولد بنيت منطقة ستافورد شاير الصناعية المكتظة بالسكان مسرحا لرواياته التي خلدت المنطقة باسم « المدن الخمس » ، وهي ستوك — اون — ترنت ، وهانلي ، وتانستول ولونغتون ، وتنتعش فيها جميعا صناعة الفخار فيصف بنيت في ثلاثة من اهم رواياته معامل الفخار وعمالها وافرانها ومداخنها وصف خبير مدقق فيخيل للقارىء انه يعيش لفترة من الزمن في المحيط نفسه .

وقد سبق طوماس هاردي ارنولد بنيت ، وهما صاحبا الفضل الاول في ذيوع الادب الروائي الاقليمي ، كتاب آخرون الى هذا الميدان لا يقلون اهمية عنهما في عالم الادب . وعلى سبيل المثال اذكر شارلوت واميلي برونت . وقد جعلت الشهرة التي نالتها رواياتهما من قرية هاوورث ، حيث قضت هاتان الكاتبتان الالمعيتان معظم سني حياتهما ، مزارا للادب يحج اليه الادباء من كل قطر وصقع . وانك لتلمس مثلا حياة يوركشاير بدقائقها في روايتي « شيرلي» و « مرتفعات وذرنغ » . ثم ان المسرح الرئيسي لروايات جورج اليوت كان المقاطعات الوسطى كووريكشاير وستافورد شاير ولنكولنشاير . وكذلك انتوني ترولوب الذي اخذت رواياته في المدة الاخيرة تستأثر باهتمام حيوي جديد ، فقد جعل مجال رواياته مدينة في غربي انكلترا تقوم فيها كاتدرائية عظيمة سماها على سبيل الاستعارة مدينة « بارشستر » ، ويمكن لكل واحد من اهالي ساليزبري واكستر وويلز وهيرفورد وغلاوستر ان يقول ان ترولوب قصد بارشستر مدينته الخاصة ، لان الوصف الذي اورده في رواياته عن هذه المدينة المستعارة ينطبق تمام الانطباق على كل من هذه المدن الواقعية لا سيما وان في كل منها كاتدرائية عظيمة .

هذا ، ولا يخفى على كثير من القراء البريطانيين ان الكاتب الروائي البارع هيو ولبول بنى خمسة من مؤلفاته على مشاهداته في كمبرلاند من قضاء البحيرات الذي اوحى باعذب الالهامات الى اردزوارث من قبله .

وعلى الرغم من ان مشاهد شروبشاير ذات التلال المكسوة بالاشجار لا تثير احساسات كثيرة في نفس الانسان فان ماري وب اضفت عليها في روايتين من اعظم الروايات التي انتجتها وصفا بديعا يرغب الى القارىء مشاهدة المنطقة والعيش في ظلال اشجارها الوارفة .

ومن بين الروائيات الاقليميات المعاصرات شيلا كايسميث وقد وضعت رواياتها على اساس مشاهداتها في سوسكس .

وخلاصة القول ان طبيعة بريطانيا هيأت لعدد كبير متنوع من الروائيين مادة لا ينضب لها معين . غير انني لا اذكر مقاطعة استطاعت ان تبز يوركشاير في العدد الذي انجبته من الادباء لكثرة ما حوته من مفاتن والوان مختلفة من المناظر الخلابة ، وهي والحق يقال اوسع مقاطعات بريطانيا على الاطلاق . فبالاضافة الى الاختين برونت اذكر ونفريد هولتبي وفيليس بنتلي وستورم جيمسون و ج.ب. بريستلي وغيرهم من الروائيين المعاصرين الذين يستوحون الشيء الكثير مما يصادفونه في مدنها وقراها وسكانها فيعكسون الاحاسيس التي تثيرها هذه المشاهد في نفوسهم على صفحات الروايات التي يدفعونها الى القراء للمتعة الفكرية والغذاء الروحي .

وبالامكان مقارنة الادب الروائي الاقليمي الانكليزي بمدرسة في التصوير الهولاندية وذلك من ناحية تعلقه بالواقعية واهتمامه بتفاصيل الحياة المحلية اليومية . وهذا مما يؤيد فكرة تأثير البيئة في خيال الاديب وانطباعاته والوان انتاجه الفني .

القاهرة **فريد خياط**

معجم المستشرق الالماني ادولف ايرمن

*

ولد الدكتور ادولف ايرمن قبل مائة عام ، وهو العالم الذي وضع اسس علم العاديات المصرية في المانيا على قواعد مضبوطة للمرة الثالثة ، وجعل من دراسة اللغة

المصرية القديمة (الهيروغليفية) علما مستقلا يتناول آثار مصر الفرعونية وحضاراتها الغابرة وهو علم (الايجيبتولوجي). وقد شمل اهتمام هذا العالم وعنايته التي اظهرهـا في دراساته العميقة جميع بلاد الشرق .

وتحول هذا العلم في عهد ايرمن الى علم يتناول اللغة والعلوم المرتكزة على اساس واحد لا يتجزأ . فجعل من النصوص الاثرية نصوصا حية تنطق ، واطلق وثائق الحضارة العريقة ، الثمينة في القيمة الانسانية ، من قيودها ، واخرجها من طور العرض في المتاحف كقطع جامدة تهم اصحاب الفضول فقط ، ووضعها الى اكبر مراكز المجموعات الاثرية في العالم تنطق بتاريخها وتروي احداثها بافصح لسان .

ولولا وضع هذا العالم البحاثة الفذ معجمه الشهير عن اللغة المصرية القديمة للباحثين المتاخرين في الاثار المصرية ، لبقي علم (الايجيبتولوجي) مطمورا ناقص الفائدة الى اليوم . وقد اتى هذا المعجم مكللا جهود هذا العالم التي بذلها في حياته في سبيل العلم والبحث والتنقيب . وخلف ايرمن في برلين تلميذه كورت شتيهر ، واتى بعده البروفسور هرمن كرابوف الذي قال ان تاريخ المعجم المصري هو عبارة عن تاريخ الفيلولوجيا المصرية خلال الخمسين عاما الاخيرة .

وقد شرع في تصنيف المعجم في برلين عام ١٨٩٧ وبلغت نفقات تدوين كلماته على القراطيس حتى عام ١٩٢٢ اي قبل طبعه (٢٥ عاما) بلغت ١٥٠ الف مارك . وقد كلفت الموسوعة اللاتينية « تيزاوروس » خلال الاعوام الثلاثة من الشروع في تدوينها مقدار ٢٥ الف مارك . الا ان الموسوعة اللاتينية استلزمت اربعة ملايين ونصف مليون قطعة قرطاس للتدوين بيد ان المعجم المصري لم يستلزم سوى مليونا ونصف المليون .

ولما توفي ايرمن في عام ١٩٣٧ ، لم يكن قد فرغ من انجاز معجمه . ولم يظهر مجلده السادس والملحقات التكميلية الاخيرة الا في عام ١٩٥١، وذلك من قبل الاكاديمية الالمانية للعلوم في برلين ، وتحت اشراف كرابوف . ولقد كان لادولف ايرمن الذي كان مديرا للمتحف العصري ببرلين فضل آخر على العلم . فهو الذي اسس في عام ١٩٢٢ « اللجنة الشرقية » في عاصمة المانيا القديمة . وهي تعتبر كمركز ومصدر للابحاث في دراسات الشرق واستجلاء ماضيه المجيد ونهضته الحاضرة لبناء المستقبل .

ـ بقية المنشور في صفحة ٦ ـ

وساعرفك باخوتي ايضا انهم لطاف جدا . وسيحبونك بقدر ما يحبونني انا متاكدة انهم سيحبونك كثيرا .

كانت تتكلم بحرارة وعيناها تتألقان بعواطفها المتبوبة وكنت اصغي اليها وانا اهز راسي موافقا وابتسامة باهتة تتعلق بشفتي . كنت احاول عبثا مواجهة نظراتها السعيدة كانت عيناي تزوران على الرغم مني ناظرة ببلاهة الى الموائد المجاورة وفاضت جوانحي بشعور قاس مر مهين وانثالت على ذهني ذكريات من الماضي البعيد ، واشتبكت مع اخيلة من مرقص « مولان روج » وصور من زبائن المرقص بوجوههم الانيقة وبسماتهم الناعمة واستولى علي اعياء مفاجيء ، وشعرت بصداع اليم . وحينما غادرنا المطعم ايقنت انني مريض .

سرنا صامتين ، وقد اشرق وجه درية بابتسامة سعيدة ولم اجرا على النظر في عينيها وبلغنا ميدان«العبخة» فقالت برقة : لا مؤاخذة يا علي .. يجب ان اعود الى البيت قبل ان تقلق امي .. ساراك مساء الغد في المرقص .. اليس كذلك ؟

ـ طبعا .. طبعا .

وجمدت في موضعي اودعها بنظرة اخيرة وهي تندس بين ركاب الترام وظلت عيناي عالقتين « بالترام » وهو ينطلق مجلجلا حتى اختفى عن انظاري .

بغداد **شاكر خصباك**

اندره جيد بين الملاك والحيوان

*

لاندره موروا كتاب بعنوان (دراسات أدبيــة) وهو مجموعة محاضرات كان قد القاها في الجامعات الاميركية خلال الحرب العالمية الاخيرة عن اعـلام الفكر الفرنسي الحديث من فلاسفة وروائيين وكتاب ، وكان اندره جيد في مقدمة الذين تناولهم اندره موروا بالدراسة على طريقته الخاصة في كتابه التراجم التي تجمع بين عمق الدراسة والسلاسة وروعة الاسلوب .

وفي هذا المقال يتحدث موروا عن فترة الشباب في حياة جيد وهي الفترة التي تصطرع فيها قوى الخير والشر في نفس كل شاب :

كان اندره جيد في طفولته مصابا بالانطواء على نفسه بسبب سوء تصرف والدته وقد اخذ يقاسي الما ممضا بسبب تفتح غرائز المراهقة التي كان يعمل على كبتها بدافع من الايمان الشديد ، حتى احس في نهاية الامر رغبة ملحة لوصف هذا الصراع النفساني يعينه على ذلك اداة طيعة للكتابة واستعداد فطري للادب وكان نتاج ذلك كتابا اخرجه في العشرين من عمره تحت عنوان (دفاتر اندره والتر) ويعد هذا الكتاب بالنسبة الى جيد ككتاب (الام فرتر) بالنسبة الى غوته . اذ نجد في الكتابين فتى رومنتيكيا قد تحرر من رومنتيكيته عن طريق خلعها على بطل القصة .

ولاندره والتر دفتران : الدفتر الابيض حيث يظل فيه البطل نقيا تقيا يتقبل الالم على انه نتيجة متممة لذلك الصراع بين الايمان والشهوات . وهو يتقبل هذا الالم بكثير من الغبطة والرضى ، فجيد كان يحس دوما بنوع من اللذة

في تلك الازمات النفسية التي كانت تصطلح عليه .

يقول اندره والتر : (سوف لا يفقه هذا الكتاب كل من ينشد السعادة . فالنفس لا تكون فيه راضية ولا تغفو على هدهدة الطمأنينة . . . الالم اذا لا اللذة ، الالم يجعل النفس اكثر حيوية .

الحياة العنيفة هي الفضلى ، ولن ابدل حياتي باية حياة اخرى ، لقد عشت حيوات عديدة ، وكانت افضلها حياتي الراهنة التي احياها) .

وكان اندره والتر (كاندره جيد) يحب احدى بنات عمه حبا عظيما ساميا تخالطه العاطفة الدينية ، وهنا نجد ايضا الشبه كبيرا بين جيد وبيرون ، كلاهما احب ان يظهر حياته على انها تتجاذبها قوتان متضادتان : فالشيطان من جهة ، وشخص ملائكي محبوب من جهة اخرى ، وكان اندره والتر يخشى كثيرا ان تدنس مطالب الجسد روحه النقية ، ومع ذلك ، كان الشيطان يتراءى له باشكال مختلفة، فمرة بشكل صديق ناصح يهمس في اذنه هذا القول : (حرر روحك بمنحك الجسد كل ما يطلب) فيجيبه والتر: (ربما تقول الصدق ، لكن يجب ان يكون مطلب الجسد ممكنا ومعقولا ، والا ، فانت نفسك ، ستكون اول من ينادي بالفضيحة اذا منحت الجسد كل ما يشتهي ويطلب)

اما الدفتر الثاني لاندره والتر فعنوانه (الدفتر الاسود) ذلك ان اندره والتر كتب قصة بعنوان (آلان) هي قصة حياة اندره والتر وحياة اندره جيد في آن واحد.

فقد اوضح لنا المؤلف الملاحظات التي دونها اندره والتر لتأليف قصته ، وهي ملاحظات هامة تعين على تفهم اندره جيد :

(هناك عاملان : الملاك والحيوان ، هما خصمان . الروح والجسد . . . لا مادية ولا مثالية ، بل الصراع بينهما . فالواقعية تتطلب اصطراع مبداين ، هذا ما يجب اظهاره والتدليل عليه . وما الانسان ، او عقله على الاصح ، الا المكان الذي تمثل في الفاجعة والساحة المغلقة حيث يصطرع الخصمان : الروح والجسد ، صراع مرده الى رغبة وحيدة مستحكمة في ان يصبح المرء ملاكا) .

فالازمة التي اقلقت نفس جيد الفتى هي اذا الازمة نفسها التي وردت في قصة اندره والتر . ولكننا نجد ان الحيوان هو الذي انتصر في (الدفتر الاسود) .

فقد كتب اندره والتر يقول : (الى متى يا الهي اصارع واكافح ، ولا اشعر بقربك مني ؟ والى اين يفضي بي هذا الصراع ؟) لقد افضى به الى الهزيمة والاستسلام ، ذلك ان الفتاة التي مثلت دور الملاك في حياته قد تزوجت برجل غيره ، وظل اندره والتر وحيدا ، فانهى قصته وجعل جنون البطل خاتمة لها . ثم مات ، هو نفسه ، بتأثير حمى دماغية .

فجيد قد نجى فنجى غوته الذي قتل فرتر للتخلص منه ، فالعيار الناري الذي اطلقه فرتر على نفسه ، قد حرر غوته وقضى على الجانب الرومانتيكي فيه ليبعث الجانب الكلاسيكي . ويمكن القول ان كل فتى مقدر له ان يمر بهذه التجربة ، فمرحلة المراهقة التي يظن بانها مرحلة الهناء والسعادة ، هي في الواقع ، اشد مراحل العمر صعوبة والما . ففي هذه المرحلة ينتقل الفتى او الفتاة من عالم الطفولة السحري الوادع المطمئن الى عالم قاس مرير ، وتتكشف له صعوبة الحياة وخبث الناس ووطأة الرغبات والاهواء . ويشعر المرء خلال فترة من الزمن ، تطول وتقصر حسب امزجة الناس ، بانه غارق في اعماق اللجج تصطلح عليه الامواج من كل جانب ، وهذه هي ازمة فرتر . فبعض الناس يغلبهم الموج على انفسهم ، والبعض الاخر يتخذ المجون والاستهتار سبيلا للخروج من هذه الازمة . اما خيار الناس فهم الذين يستطيعون ، كما يقول اندره والتر ، ان يدركوا ان الواقعية الصحيحة هي في الترفيق بين الجانب الكبيرتين ، لان الخطيئة الكبيرة الثانية هي تجاهل طبيعة

يقول مرديث : (اكبر خطيئة يرتكبها الانسان تجاهل طبيعته الحيوانية ، اكبر خطيئة ؟ كلا ، بل احدى الخطيئتين الكبيرتين ، لان الخطيئة الكبيرة الثانية هي تجاهل طبيعة الانسان الملائكية .

اندره موروا « الميادين »

أثر البادية في أدبنا المعاصر

✳

لقد اخذت الحضارة تغزو البادية في كل مظهر من مظاهر حياتها ، وفي كل اسلوب من اساليب معيشتها . وليس في الامر غرابة بعد ان ضاقت رقعة الارض بسبب هذه الاختراعات التي صهرت امم العالم في بوتق واحد !

لكن الغريب ان تؤثر البادية في ادبنا المعاصر بعد ان اثرت في ادب صدر الاسلام والعصر العباسي تأثيرا أضطر الكثير الى الثورة الناقمة . لكنها ظلت ثورة على القوالب والشكليات ولم تتسرب في صميم القصيدة . وها نحن اولاء نقف موقف الدهشة من اثر البادية في ادبنا المعاصر .

فمن نحو مائة وعشرين سنة كان يعيش في البادية الاردنية شاعر بدوي اسمه (علي الرميثي) عصر الالم قلبه والح عليه الفقر على الرغم مما وهب له الله من جمال النفس وروعة المظهر والشهامة والنجدة . وكان لهذا الشاعر ابن عم يدعى (سالما) . وكأن القدر الالهي قد اقتطع ما وهب لعلي من الشعور الفياض وجمال الجسم والنفس من رزقه فعاش علي معدما الا من فضائله . اما ابن عمه سالم فكان من اغنياء العشيرة ومن وجهائها .

وفي احد الايام غزا سالم الرميثي عقيدا لعصبة في عدادها ابن عمه علي وفي اثناء الغارة قتلت فرس سالم وجرح وفر عنه رفاقه الا ابن عمه علي فانه اردفه على فرسه وهرب به الى ان اوصله الى منجاته .

وعولج سالم الى ان شفي من جراحه فكان يعد نفسه مدينا لابن عمه بحياته . ولم يكن يرد لابن عمه طلبا الى ان جرى صدفة ان كلا الرجلين احب فتاة معروفة في الحي بجمالها فتنازعا بسببها ، ولما خيرت الفتاة اختارت عليا فحقد سالم على الفتاة وعلى ابن عمه وتنكر له .

ولما توفيت الفتاة املق علي املاقا شنيعا فرأى ان افضل وسيلة هي اللجوء الى ابن عمه سالم ولا سيما ان سبب الخصام بينهما قد واجهت ربها . وفي ليلة كثر ثلجها لم ينتبه سالم الا وابن عمه في الشق (القسم المخصص بالضيوف) فلم يلتفت اليه على خلاف ما توجبه تقاليد البادية ولم يقدم له طعاما . فاثر ذلك في نفس علي أعمق تأثير وعاتب ابن عمه عتابا تطرق منه الى الهجاء المر بلا تسفل ولا وقاحة وذكره بخاتمته فكانت قصيدته من اروع ما رأينا في شعر البادية على طول مدارستنا له وقد التزم الشاعر البدوي في قصيدته هذه قافيتين — واحدة في الصدر وواحدة في العجز . وكم كانت دهشتنا يوم رأينا هذه القصيدة على ايجازها تحوي أكثر معاني قصيدة « الطين » للشاعر المهجري ايليا ابي ماضي ، لذا آثرنا ان نروي قصيدة الرميتي ونفسر ابياتها ونذكر بعد كل بيت ما يناسبه من قصيدة « الطين » ضاربين صفحا عن اختلاف الروايات التي ذكرها الرواة لانها لا تتعدى الاختلاف في كلمات معينة اما المعنى والجوهر فواحد .

قال الرميتي :

يا اخوي ما أحنا فحمة ما بها سنى ولا انت شمسا تلهب الدو بضياه !

اي يا اخي ما نحن فحمة لا جمال فيها ولا انت شمس تلهب الصحراء بضيائها .

ويقول الشاعر ابو ماضي :

يا اخي لا تمل بوجهك عني ما انا فحمة ولا انت فرقد

ويقول الرميتي :

لصار ما تأكل ذهب يوم تبلى يا اخوي وش نفع الذهب يوم تقناه

اي ما دمت لا تأكل ذهبا يوم تموت فما فائدة الذهب الذي تقتنيه اذن ؟

ويقول ابو ماضي :

انت لا تأكل النضار اذا جعت ولا تشرب الجمان المنضد

ويقول الرميتي :

ملبوسك من البز تبلاه يلوى مثل الاكفان لميت طال مشحاه

اي ملبوسك من ناعم القماش فيبلى كأنه اكفان وثمينه سوف تصيبه النكبات فيبلى كأنه اكفان الميت الذي انقضى على موته زمن طويل .

اما ابو ماضي فيقول :

انت في البردة الموشاة مثلي في كسائي الرديم تشقى وتسعد

وقال الرميتي :

المنوة اللي بضميرك تلوى لي مثلها يا شين بالقلب نهواه

أي امنيتك وحبك الحائر في ضميرك لي مثلها ايها الرديء النذل اهواها بكل ما في قلبي من احساس فأي فرق بيننا ؟

وقال الرميتي ايضا :

نحلم حلوما حلوة يوم نرضى وتمر يوم السعد ما بان ما طاه

اي لنا احلام لذيذة متفائلة عندما نرضى عن الحياة لكن هذه الاحلام تتحول مرارة وعلقما اذا فارقنا الحظ وتلمسناه فلم نجد آثار اقدامه .

اما الشاعر المهاجر ايليا ابو ماضي فقد عبر عن هذين البيتين باربعة ابيات هي :

لك في عالم النهار اماني ورؤى والظلام فوقك ممتد
وبقلبي كما بقلبك احلام حسان فانه غير جلمد
اماني كلها للتلاشي وامانيك للخلود المؤكد ؟
لا فهذي وتلك تأتي وتمضي كذويها وأي شيء يؤبد ؟

ويقول الرميتي معرضا بجبن ابن عمه ونقص رجولته:

يوم الرماح تناوشك لا تلون والترف يوم يفارقك ليه تشهاه

اي اذا كنت رجلا تام الرجولة ايها المتغطرس اياك وان تظهر الضعف متلونا في الحرب يوم تصيبك اطراف الرماح واذا كنت رجلا فيه شيء من الاباء لماذا تظهر الشهوة العارمة التي تعمي بصيرتك يوم تفارقك حبيبتك اللطيفة ؟

ونرى شاعرنا المهاجر يعقد بيتا في المعنى الذي عبر عنه الشاعر البدوي بنصف بيت قال :

واذا راعك الحبيب بهجر ودعتك الذكرى ألا تتوجد ؟

ونرى الرميتي يقول :

ودموعنا وايا الضحك فيه سلوى متماثلة يا شين لصار تبلاه

اي ان دموعنا تشبه دموعك . وضحكنا يشبه ضحكك لان فيهما سلوى وتعزية كما يسليك ضحكك ايها الرديء النذل اجل انها متماثلة يوم تختبرها .

وابو ماضي يقول :

أدموعي خل ودمعك شهد وبكائي ذل ونوحك سؤدد
وابتسامي السراب لا ري فيه وابتساماتك اللآلي الخرد ؟

ونلاحظ ان الشاعر المهاجر قد عقد بيتين كاملين لما عبر عنه الشاعر البدوي في بيت واحد .

وقال الرميتي :

كليتا للترب نمشي ونحيا لا توهمك يا الضبع نفسك بمتهاه

اي كلنا عائدون الى التراب فاياك وان تخدعك نفسك كما يخدع الضبع عن نفسه يوم يدخل عليه في وجاره ويوهمه الصائد انه لا يريد به سوءا الى ان يجره من كراعه وهو ساكن لا يبدي حراكا .

اما ابو ماضي فقال :

انت مثلي من الثرى واليه فلماذا يا صاحبي التيه والصد ؟

ونرى الشاعر الرميتي يقول بيتا في منتهى الروعة :

هذا القمر والشمس والنجم تعلى ومخومسك مثل الخرابيش تنصاه

أي ها هوذا القمر وها هي ذه الشمس وها هي النجوم ترتفع متعالية في قبة السماء تزور بيوت الشعر الحقيرة « الخرابيش » كما تزور بيتك الفخم ذي الاعمدة الخمسة .

اما ابو ماضي فيعبر عن ذلك البيت بثلاثة ابيات :

النجوم التي تراها اراها حين تخفى وعندما تتوقد
قمر واحد يطل علينا وعلى الكوخ والبناء الموطد
ألك القصر دونه الحرس الشاكي ومن حوله الجدار المشيد

ويقول الرميتي :

حيانك اللي سيوفهم نور يلظى ما يمنعون الموت ان جاك معداه

أي ان جماهير اعوانك واقاربك الذين سيوفهم تومض كانها النور لا يستطيعون ان يصدوا الموت عنك اذا جاء الوقت الذي يعدو عليك فيه كالذئب .

ويعبر ابو ماضي عن هذا البيت بثلاثة ابيات :

الك القصر دونه الحرس الشاكي ومن حوله الجدار المشيد
فامنع الليل ان يمد رواقا فوقه والضباب ان يتلبد
مرقد واحد نصيبك منه أفتدري كم فيك للذر مرقد

ويقول الرميتي :

الله يخونك كنت للناس منعى حتى العشافي مخومسكما لقيناه
والثلج يذري والسواعير تضوي هبيت تنعي العبد والله نساه !

أي قاتلك الله لقد كنت فيما مضى ملجأ للناس فصغرت نفسك وتحولت نذلا ينسى كل تقاليد العرب النبيلة الى حد انك بخلت علينا بالعشاء في بيتك ذي خمسة الاعمدة — البيت الذي يدل على الزعامة والكرم !

اجل لم نجد عندك عشاء في أتعس الاوقات يوم كانت الثلوج تتساقط والصواعق تشق الظلام ، فقاتلك الله وقبح الله تفكيرنا ما اسخفه اذ نلجأ الى عبد حقير مثلك وقد نسينا ان نلجأ الى الله مصدر كل خير الذي في يده ناصيتك وفي يده رزقك . وهذان البيتان نجد شاعرنا المهاجر يعبر عنهما بثلاثة ابيات . قال ابو ماضي :

ذدتني عنه والعواصف تعدو في طلابي والجو أقتم أربد
بينما الكلب واجد فيه مأوى وطعاما والهر كالكلب يرفد
فسمعت الحياة تضحك مني أترجى ، ومنك تأبى وتجحد

ويختم الرميتي قصيدته التي في يدنا بقوله :

«انته وما ثمرت تسقط ويبلى وتراب قبرك ساقي الريح يسفاه»

أي انت وكل ما كنزت في حياتك سوف يبلى وانت سوف تسقط وقبرك تمر به الرياح تنثر ترابه في الفضاء فانظر الى هذه الخاتمة المروعة التي انتهى اليها الشاعر البدوي السليم في فطرته .

اما شاعر المهاجر فيقول في المعنى نفسه :

ان قصرا سمكته سوف يندك وثوبا حبكته سوف ينقد

وليس بخاف ان الشطر الاول من بيت شاعرنا ابي ماضي مأخوذ من قول حكيم المعرة واعماها القائل :

كل بيت للهدم ما تبتني الورقاء والسيد الرفيع العماد

وبعد فنحن لا ندري كيف يمكن ان يقع هذا التوارد في الخواطر — او وقوع الحوافر — بين الشاعرين ان لم يكن شاعرنا المهاجر قد اطلع على هذه القصيدة من ابناء لبنان الذين كانوا يتاجرون بين البدو ويرددون اشعارهم ويتشبهون بهم في الملابس واطلاق شعور رؤوسهم وقد تملك بعضهم قرى عند البدو بالارادة وكان البدو يدعون هؤلاء اللبنانيين بـ « الحزارمة » لان اول من جاء الى الديار الاردنية جماعة من اهل قرية حزرم فدعي كل من جاء من سوريا ولبنان فيما بعد « حزرمي » كما دعا اهل مصر كل من طرأ على ديارهم شاميا للسبب نفسه .

وان لم يكن الامر كذلك فلسنا ندري كيف نعلل أثر البادية هذا في شعرنا المعاصر ولا سيما ان الشاعر هذا « علي الرميتي » مات من نحو قرن تقريبا وعمَّر على ما قال لنا الرواة الذين شاهدوه اكثر من ثمانين عاما . لكننا نحن ادخلنا تعديلا على السنين وخفضنا عمره الى نحو سبعين سنة .

هذا ما اردنا ان ندونه من الملاحظات خدمة للادب والتاريخ والله ولي التوفيق .

« السائح » روكس بن زائد العزيزي

جورج برنارد شو

*

بدو ان الناس في بريطانيا اخذوا يتناسون بسرعة فيلسوفهم الساخر الكبير جورج برنارد شو ، بعد مرور ثلاث سنوات على وفاته . وقد اشارت جريدة « الديلي هرالد » اللندنية ان شو اصبح « الرجل المنسي » اذ كان بعض اصدقائه قد تنادوا في العام الماضي الى جمع التبرعات لمشروع اقامة تمثال لائق به يكلف حوالى ٢٥٠ الف جنيه ، ولكنهم لم يجمعوا الا مبلغ الف جنيه بصعوبة فائقة ، وهكذا اهمل المشروع في الوقت الحاضر .

وفي الحقيقة لم يترك شو فلسا واحدا حتى من اجل العناية بمنزله بعد وفاته . وقد كان هذا المنزل في بلدة « اياوت سان لوران » اثناء حياته محجة للزائرين الكثر مما دعا الى شكوى اهالي القرية ، وكانوا يقولون « ماذا يكون الحال بعد موته ؟ »

ولكنهم اليوم يعيشون في راحة تامة ، لانه لا يوجد هناك اي شخص يسعى لزيارة منزله . اما كتبه فانها تباع نسبيا جيدا . ولكن هناك احدى مسرحياته «بيجماليون» يجري تمثيلها بانتظام دائم في انحاء بريطانيا .

بيد ان ما يعزي المعجبين بشو هو ان شكسبير نفسه عرف بدوره النسيان ، ولم يحتل مركزه الرفيع الا بعد مرور قرن كامل على وفاته .



٢١ فبراير ١٩٥٥ ـ غادر السر انطوني ايدن وزير الخارجية البريطانية وصحبه القاهرة الى كراتشي وقد جرت محادثات هامة بينهم وبين الحكومة المصرية وصدر بيان في القاهرة يشير الى ان المناقشات دارت حول الموقف الدولي ووجوب تدعيم اسباب السلام .

ـ وصل الى القاهرة الملك حسين عاهل المملكة الاردنية الهاشمية في زيارة رسمية وستجري بينه وبين المسؤولين المصريين محادثات هامة تتعلق بقضية الحلف التركي العراقي .

٢٢ ـ فاز السيد ادجار فور بثقة المجلس الوطني الفرنسي وهو الذي كلف أخيرا بتاليف الحكومة الجديدة .

٢٣ ـ وصل الى بغداد السيد عدنان مندريس رئيس وزراء تركيا والسيد فؤاد كوبرولو وزير خارجيتها .

ـ افتتح في بانكوك مؤتمر الدول الثماني المشتركة في منظمة جنوب شرقي آسيا وهي استراليا وبريطانيا وفرنسا ونيوزلندا وباكستان والولايات المتحدة وسيام والفليبين .

٢٤ ـ تم في بغداد توقيع الحلف الدفاعي بين تركيا والعراق .

ـ اعلن الرئيس ايزنهاور ان الولايات المتحدة ستسعى بكل طريقة ممكنة لتحقيق وقف اطلاق النار في مضايق فورموزا بطريقة عادلة ومرضية لجميع الفئات المختصة .

٢٥ ـ اصدرت نظارة الخارجية الامريكية بلاغا رسميا اعلنت فيه ان الميثاق التركي العراقي يعتبر مساهمة ايجابية في الدفاع عن الشرق الاوسط .

٢٦ ـ صدق الملك فيصل على الحلف التركي العراقي بعد ان وافق عليه البرلمان .

ـ اصدرت وزارة الخارجية الامريكية بيانا اعلنت فيه ان معاهدة الدفاع المشترك المعقودة بينها وبين الصين الوطنية لا تلزم الولايات المتحدة بالدفاع عن جزيرتي كيموي وماتسو .

ـ صادق المجلس التركي الكبير على الميثاق التركي العراقي واعلن رئيس الوزراء ان تركيا لا توافق بحال من الاحوال على اشراك اسرائيل في الميثاق او التحالف معها .

ـ وصل الى دمشق الصاغ صلاح سالم وزير الارشاد القومي المصري وقد صرح بانه لم يعد هناك ميثاق للضمان الجماعي العربي بعد توقيع العراق على الحلف التركي العراقي وقال ان مصر ستدعو الى عقد ميثاق عربي جديد اقتصادي وسياسي وعسكري .

٢٨ ـ دلت نتائج الانتخابات النيابية في اليابان على نجاح الحزب الديموقراطي الذي يراسه رئيس الحكومة الحالية هاتوياما وهو الذي اعلن في بيانه الوزاري انه سيسعى الى اعادة العلاقات الطبيعية بين اليابان والاتحاد السوفياتي .

اول مارس ١٩٥٥ ـ هاجمت قوة اسرائيلية مواقع الجيش المصري في شمال شرق غزة فقتل ضابط و٣٦ جنديا مصريا واصيب اكثر من ثلاثين آخرين بجروح .

ـ وجهت الحكومة السوفياتية مذكرة جديدة الى الحكومة البريطانية اشارت فيها الى ان تصرف الحكومة البريطانية حيال توقيع اتفاقات باريس يخالف المعاهدة السوفياتية البريطانية التي وقعت عام ١٩٤٢

٢ ـ تنازل الملك نوردوم سيهانوك ملك الكامبودج عن العرش لوالده الامير نوردوكس سوراماريت .

ـ وقعت الحكومة الامريكية والعراق اتفاقية مساعدات مالية تستهدف ايجاد برنامج تعاوني يقصد منه انعاش السكان ورفاهيتهم .

٣ ـ ادلى السيد خالد العظم وزير الخارجية السورية بتصريح قال فيه ان سوريا ومصر وقعتا اليوم اتفاقا فيما بينهما للتعاون السياسي والعسكري والاقتصادي . هذا وقد سافر الى عمان السيد خالد العظم مع وزير الارشاد المصري الصاغ صلاح سالم .

٤ ـ اجتمع مجلس الامن الدولي للبحث في القتال الذي وقع في غزة وقد اتهمت مصر اسرائيل بالاعتداء كما اتهمت اسرائيل مصر بخرق اتفاقية الهدنة وقد قرر المجلس دعوة مصر واسرائيل الى عدم استخدام القوة واستدعاء الجنرال بيرنز كبير المراقبين للاستماع الى تقريره وتأجيل الجلسة .

ـ وصل الى جدة السيد خالد العظم والصاغ صلاح سالم متابعين رحلتهما الى العواصم العربية .

٥ ـ صدر بيان في بغداد اشار الى وصول السر انطوني ايدن وزير الخارجية البريطانية وحديثه مع السيد نوري السعيد رئيس الحكومة مستعرضا معه الوضع العالمي .

ـ وصل الى بغداد السيد جلال بايار رئيس الجمهورية التركية في زيارة رسمية للعراق .

ـ وصل الى بيروت في طريقه الى لندن السر انطوني ايدن وقد جرت بينه وبين المسؤولين احاديث هامة جدا .

ـ وصل الى كراتشي الملك حسين ملك المملكة الاردنية الهاشمية في زيارة رسمية للباكستان.

٧ ـ اعلن لبنان حياده من الحلف العراقي ـ التركي والحلف المصري ـ السعودي ـ السوري وهذا الموقف مستوحى من قرار مجلس الوزراء الذي تبنته اللجنة الخارجية البرلمانية .

٩ ـ اصدرت وزارة الخارجية الفرنسية بيانا حول موقف فرنسا من التطورات الاخيرة في الشرق الاوسط قالت فيه ان اتصالها بالخارجية البريطانية ساعد على تقليل المخاوف التي نجمت عن عقد الحلف العراقي ـ التركي وقد اكدت فرنسا تمسكها بالبيان الثلاثي الموقع عام ١٩٥٠ المتعلق بضمان حدود المنطقة وسلامتها .

١٠ ـ صرح الرئيس ايزنهاور بان الولايات المتحدة تتعهد باحتفاظ قواتها في اوروبا بما في ذلك المانيا وذلك عندما تبرم اتفاقيات باريس .

١١ ـ اعلن الاميرال الامريكي ستومب ان الحالة في مضيق فورموزا ما تزال خطرة للغاية.

ـ تتحدث الصحف السورية عن مذكرتين خطيرتين تلقتهما الحكومة السورية من الحكومتين التركية والامريكية تتعلقان بموقف سوريا من الحلف التركي العراقي .

١٢ ـ حاول رجل يدعى بابوراو اغتيال الباندت نهرو رئيس وزراء الهند في مدينة ناغبور وقد القي القبض على الجاني .

١٣ ـ وصلت الى بغداد البعثة السورية للتوسط بين مصر والعراق برئاسة السيد خالد العظم وزير الخارجية السورية .

١٤ ـ نجا تران فان لام حاكم فييتنام الجنوبية من محاولة لاغتياله فالقى بنفسه من سيارته عندما قذفها شخص بقنبلة يدوية في مدينة سايجون .

ـ توفي في زوريخ زيبوفانا ملك نيبال وكان يعالج منذ مدة في سويسرا .

١٥ ـ صدر بلاغ وزير الخارجية البريطانية يعلن تأجيل زيارة السر انطوني ايدن وزير الخارجية لتركيا بسبب مرضه .

١٦ ـ قرر حزب العمال البريطاني اخراج المستر بيفان زعيم الجناح اليساري من الحزب

١٧ ـ صرح المسيو ادجار فور رئيس الوزارة الفرنسية بان فرنسا ستصنع القنبلة الايدروجينية .

مطبعة العمال اللبنانيين ـ الحازمية
تلفون ٣١٦٧٤